سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي (36)

# ديوان محمد بن علي الالغي

محمد بن علي بن عبد الله بن صالح الالغي

(1306هـ/1888م-1385هـ-1965م)

بسم الله الرحمان الرحيم

قال الأستاذ محمد بن علي الإلغي، يخاطب الشيخ علي الدرقاوي وقد وفد عليه الأستاذ علي بن عبد الله الإلغي وأبي القاسم التاجرمونتي وقد وفدوا عليه إلى إفران:

يا قلب جد كل توان هذي جميع المكرمات دوان

قالوا النواحي أشرقت فأجبتهم طلعت شموس العلم والعرفان

قدم الألى حازوا المفاخر وارتووا من شرب كل تواصل وتدان

أكرم بهم من سادة سادوا الورى بالفضل والعلم الرفيع الشان

الله فضلهم وأعلى قدرهم فسموا على الجوزاء أو كيوان

وبهم تحل المشكلات وتنجلي ظلم الضلال بهذه الأزمان

هم فخر هذا الغرب نور ظلامه وهم علينا نعمة المنان

يا سادتي يا من بهم صين الهدى من بدعة ترديه أو شيطان

إني أتيتكم بقلب مدنف أبدا يكابد شدة الأحزان

منوا بما يبغي العبيد يسعد بالذي تبغونه في السر والإعلان

وصديقكم لا زال في ظل الهنا وعدوكم لا زال في الخذلان

بنبينا صلى عليه الله مع آل وصحبه سادة أعيان

وكتب الى الشاعر الإفراني وقد ورد الى تلك الجهة:

سلام محب يشتكي ألم الوجد حليف الهوى العذري متصل الوقد

أخي لوعة تضنيه، من لايطيع في سبيل الهوى تعذال عمرو ولازيد

على دوحة العلم التي عم ظلها جميع البرايا من قريب وذي بعد

إمام له في العلم أرفع رتبة وسؤدد صدق ما له فيه من ند

هلال المعالي السيد الطاهر الرضا أخي الفضل والافضال والحلم والمجد

وبعد فان العبد غاية ما رجا انتظام بعقد حبك المحكم العقد

فقد طال ما يرجو لقاءك مثلما حبته الاقدار في سالف العهد

فلله أيام من العمر أسعدت فأبهج أيام التواصل في سعد

وقد أجابه بقوله:

أنفح نسيم هب من روضة الورد    فشاق الى مغنى الهوى بحمى نجد

أم أفتر ثغر الزهر صافحه الحيا    فأذكر أيام الصبا الحسن العهد

أم انتظمت أبيات شعر كأنها    فرائد در زانها النظم في العقد

تأنق في ترصيعها فكر ماجد    حوى المجد عفوا لا بجد ولا كد

هلال سما الآداب سيدنا محم د بن علي الفتى اللائح السعد

ب (هوزالة) نمت لطيمة فضله    كما نم وهنا فائح البان والرند

فلله منه صارم الفكر ان عرا    عويص مضى فيه مضاء ظبا الهند

فلا زال في أفق الكمالات صاعدا    الى أن يرى كالبدر في مطلع السعد

وقدم الاديب سيدي محمد بن علي الإلغي على أحد الرؤساء الراسلواديين فخاطبه بقوله مستأذنا عليه:

يا أيها الخليفة المرتضى   والجهبذ الندب الهمام الرضا

والارحي الالمعي ومن   قد امتطى المجد وقاد الندى

نزيلكم وضيفكم واقف   ببابكم يبغي اللقا والقرى

فأجابه عنه محمد بن علي أوبو:

أهلا ببكر زفها نحونا   سيدنا محمد بن علي

أصدقها الوقد الذي بيننا   من نسبة دامت الى أجل

أسكنها القلب مكللة   بزينة التشبيب والغزل

كذا يكون الشعر لا بعر منتثر عن ذنب الابل

غنَّى الحَمَامُ بروضةٍ غنّاءِ   وتجاوبَتْ طربًا بحُسنِ غن

فُتقَتْ بها أزهارُها وتفجَّرتْ   أنهارُها يا حُسنَها للرّائي

فقضيْتُ من أنهارِها وزهورِها   عجبًا وقد أزرتْ بزهْرِ سماء

وترى بها مُلْدَ الغصون كأنها   نَشْوانةٌ من خمرةِ الأنداء

أرسَى الربيعُ بروضِها فكأنها   عُقِدَ الجُمانُ بلَبَّةِ الحسناء

لا عيبَ فيها غيرَ أنَّ حمامَها   يُذْكي رَسيسَ الشوقِ في الأحشاء

قد زرتُها في ضحْوةٍ فرجعتُ من   أفيائها بجوى المَشوق النائي

فصَبا إلى أهلٍ كوَتْه بشوقِهم   كفُّ البعادِ بجذوْةِ البُرَحاء

تتضرَّم الأشواقُ مني بالبُكا   فاعجبْ لنار هوًى تشبُّ بماء

لما رأيتُ تذكُّرَ الأوطان في   قلبٍ ذكا في الليلة اللَّيْلاء

أيقنتُ أن شِفا الصَّدى بالوِرْدِ من   عذْبٍ زُلالِ الماء من دَأْماء

هل يأذنَنَّ الشيخُ لي فبإذْنِه   فَتْحُ الرِّتاجِ ومُدْرَكُ الحَوْباء

شيْخي وأستاذي ومنبعُ رَحمتي   فلدى يديهِ الفوزُ بالنَّعماء

مَنْ إن يَزُرْ حضراتِه   يُنسيهِمُ أوطانَهم بِجِباء

قد كنتُ أنسى الأهل في حضراتِه   لولا الحمامُ بروضةٍ غنّاء

يا ليتني أحظى بنيْلِ وداعِهِ   مُتزوِّدًا منه بخير دعاء

فأزورَ أهلاً قد كوت أشواقُهـــــــــــم قلبي وهم أهلُ السَّنا وسنـــــــــاء

منّي السلامُ عليك يا بدرَ الـــــدجى وملاذَ خائف نكبةٍ وعَنـــــــــــاء

سلامٌ على الجمعِ المُذكَّرِ إنه سليمٌ من التَّكْسير في كلِّ مُفرد

ثلاثةُ أقمارٍ تباهتْ بها «أقا» على غيرِها من كلِّ قصرٍ مُشيَّد

تفرَّغْتم في شهرِ صومٍ إلى الذي يكونُ لكم ذُخْرًا إلى يومِ موعد

فنِعْم وجوهٌ كالنجوم تمالَؤوا على سرْدِ آثارِ النبيِّ محمد

لقد طبتمُ طُرًّا بريّا حديثه وكيف ومن يمدحْهُ بالذات يشهد

حديثُ رسولِ الله خيرُ وسيلةٍ وملْجَا الورى من كل مَثْنى ومَوْحِد

به تُغفَرُ الأوزارُ بل يُرْأَبُ الوَنَى ويَهدِي لأقومِ الصِّراطِ المُمهَّد

فأوَّلُ أقماري الرِّضا القائدُ الذي به في المعالي الشُّمِّ أرفعُ مقْعد

هو السيدُ الميْمونُ حِلْفُ سياسةٍ يسوسُ بها الآراءَ في نُجحِ مَقْصد

هو الأحسنُ الأرضَى السنيُّ ومن له بآبائه أُسْد الشرى خيرُ مَحتِد

فلله ما أولاه من علَمِ التُّقَى بأفضلِ زُلْفى من حديث المُمَجَّد

وثاني بدوري سيدي الجِهْبذُ الرِّضا إمامُ الندى حِلْفُ الطِّرافِ المُمدَّد

محمدٌ القاضي الخِضَمُّ ومَنْ له صِحاحُ الفتاوى بالدليل المُسدَّد

فإن قال ما «قِسٌّ» لديه وإن سَخا فما «حاتمٌ» يطْمو وما ماءُ مُزبِد

وثالثها الحَبْرُ الأديبُ حفيدُنا عُبيدُ الإله إن سألتَه يرفِد

أدامكمُ الرحمن ملجَا الورى فإن أتى بابَكم عافٍ يُعَنْ ويُزوَّد

وأسألكم إذا قرأتم رسالتـــي دعاءً يقيني شرَّ واشٍ معربـــد

وإن تلحظَوا أسمى الجناب بدعـــوةٍ تُجابُ فقد أحيا شريعةَ أحمـــد

مُحِبٌّ الجميع القائدُ الأحسنُ الـــذي محضتُ له ودِّي إلى يوم موعـــدي

تخميس العلامة الأديب أبي عبد الله سيدي محمد بن الشيخ أبي الحسن الإلغي:

فراقب الله يا من حاله سعدا = لتجزى من فضله الممنوح ما وعدا

يا تابعا خير من دعا الورى فهدى = خذ سنة الله بين خلقه أبدا

ولتجعلنها لديك خير قسطاس

فمحكم الآي والمأثور قد نشرا = من حب آل النبي ما نشره بهرا

فعظمن آل بيت فاخروا القمرا = ما عظم المرء آل البيت دون مرا

إلا وعظم عند الله والناس

وكيف لي أن أفي بقدر جاههم = ووجه ملتنا منور بهم

فاشدد يديك بآل البيت كلهم = والحظ بعين كمال الفضل قدرهم

واخضع لهم دائما بالقلب والراس

ومن شعره قوله من مطلع قصيدة في تأبين العلامة أحمد بن الشيخ علي الدرقاوي:

متى تتعظ إن لم تعظك منية = تمر بسيفها الحدد منية

فكم من فتى تسببه بين أعزة = كماة ولم تحم الكماة الأعزة

وكم كان في بسط الأماني سادرا = إذا هو ما بين الأماني ميت

يدبر أمرا ثم يبرم أمره = فينقض ذاك الرأي أمر موقت

فتبا لهذه الدنيا تكشفت = بثوب صديق إنها لعدوة

فو الله إنها لآل مآلها = زوال وجمع بعد ذلك مشتت

فيا عجبا للناس كيف تنافسوا = على عرض يغنيه يوم وليلة

لما توفي السيد الصوفي أويسي زمانه، واياسي أوانه، الكاتب اللبيب والأخ الحبيب، صديق أسلافنا وصديقنا، وعيبة أسرارهم وبطانتهم، الاريب الحيسوبي المشارك، سيدي الحاج أحمد بن ابراهيم البعقيلي أصلا، الوفقاوي منشئا ووطنا، بموضع (ايكيليز) بأيت أو الشريف رحمه الله وعظم الاجر في مصابه، وفسح عليه في بحبوحة جنانه. قال الكاتب في مرثيته، وتعزية إبنه الأرضى الفقيه المفوه، سيدي عبد الله ابن الحاج أحمد، ألهمه الله الصبر وتبث له الاجر، مانصه:

سيدنا الحاج أحمد العلم مات فمات الحيا والدين والكرم

مات الوفاء وصدق الود واتقدت نار تشب بها في أضلعي ضرم

يا عجبا لفؤاد شفه لهب محلل فيه مذ بانوا ومذ صرموا

عهدي به مابه كفر ولا دخل ولا نفاق لمن ودهم حرم

الموت سيف له حد يجرده على الخلائق لم يشبع له قرم

فما نجى منه سوقة ولا ملك وان حوى حازما ماقد حوى ارم

صبرا وان كان مرا فادحا جللا عبد الاله فان الصبر معتصم

فيك الكفاية انت المفرد العلم والسيد الشهم لاانكس ولا برم

فالله رب رؤوف بالعباد فما يرجو سواه عبيد ان هم جرموا

فالله يرحمه وكيف لا وله بزورة المصطفى وبيته الحرم

(تاج الرؤوس) مرصع بجواهر وبدائع بحلى الفقيه سكيرج

هي رحلة جمعت حواضر مغرب وقضاتها وولاتها في مدرج

أثنت وبثت في مجالس اهلها ما لا تظن نهى المقيم المنضج

ما شئت من معنى لطيف يحتسي بالسمع اذ يدخل أو يخرج

فاعجب لناظم درها من بارع بذ السوى بالطبع ليس ببهرج

علامة للجود فيه علامة تدعو الفقير لبابه أن عرج

هادي الهداة، حمى الجناة، فمن لجا لمقامه يحفظ وغما يفرج

(نزهتي) زفت بالقضاء (وانه كفؤ) تميس بمرطها المتدبج

ان قال فهو حذام ليس بمرتج كل لديه على بصيرة مدرج

فليحكمن في الناس مثل سكيرج أولا فأني للورى حق يجي

سر هكذا فالدين بشر أهله تهدي العماة الى سوى المنهج

مني السلام الطيب الانفاس والا عراس ينحو الصقع صقع سكيرج

من عبدكم نجل الفقيه محمد  شبل الامام علي العلى الابلج

وقال سنة 1356 ه وقد نزل في (ايشت):

أهلا بنجل الكرام القائد الحسن   من لايقول ولايبدي سوى الحسن

فمرحبا بك كل الرحب لابرحت   أيامكم غضة ملتفة الفنن

فأنت والله يا خدن المحبة من   أصفيته الود كالآباء مذ زمن

ففي الحديث الصحيح أن تحب أخا   على الإله فاعلمنه بالعلن

فقم على الحب واعرف حقه أبدا   أهل المحبة تحت عرش ذي المنن

بالله يا صاحبي لاتنسنا أبدا   جزاك ربي مصونا من أذى الزمن

ثم أن الأستاذ محمد بن علي كتب إلي بعدما سمع هذه القطعة التي أعاتب في بعضها الوزن،

فانتصب عن الوزن وكيلا، فأسمعني صليلا:

وكل الوزن من يقول فيبدي للأديب الأريب أحمد قولا

انني ان أردتني طوع كفي لك، فمرني أطعك قولا وفعلا

لاتقل انني لوعر وحزن حين أني ألفي لمن قاد سهلا

ان ترد أن تفوز بي فاقصدن على من تر الشعر ان تزاوله جزلا

فأداة الامور لابد منها أترى دون أن ترى القطر سيلا

او ترى الزهر دون نبت أو النو ر سوى أن هيأت زيتا وفتلا

فلديك الفراغ فاستعملنه في عروضي لكي ترى لك طولا

فسلام عليك ما دام صب يرتجي قلبه من الحب وصلا

في عشرين من جمادى الاولى عام 1361 ورد على الحضرة الالغية، حفظها الله من النوائب الدهرية، آمين الاديب النسيب، والهمام اللبيب، سيدي محمد ابن العالم التقي النقي، سيدي البشير بن المدني الناصري اليفرني، مع أخيه السميدع الكريم ابن الكريم، والجواد الفخيم، سيدي أبي العباس أحمد ابن سيدي البشير الناصري، خاطبين عند ولد عمنا سيدي ابراهيم المرحوم بكرم الله سيدي عمر بن ابراهيم لأخيهما البر الوفي سيدي عبد الله، فكمل الله مقصودهما عنده، أدام الله مجدهم، وأبد سعدهم، وصان سلسلتهم، آمين بجاه عين الرحمة، كاشف الغمة، صلى الله عليه وسلم، فخاطبتهم بشبه أبيات مرحبا، وأداء لهم ببعض الواجبات، نصها:

فنعم الوفد وفد الناصري أبي العباس ذي القدر السني

ومن جلت مفاخره أخيه أبي عبد الاله الاريحي

رضيعي ثدي آداب وعلم ومجد باذخ جم بهي

سليلي سيد قطب المعالي محط النور والسر الجلي

كريم عالم ندب همام ومزر بالجواد البرمكي

جليل الفضل من تاهت فخارا  به (افران) ذي العلم الروي

فسهلا مرحبا بكم وأهلا  قدوما طاب كالمسك الذكي

جزيتم كل مقصدكم ونلتم  جميع السؤل من رب علي

بجاه أجل رسل الله طرا  حبيب الله ذي القدر السني

عليه صلاته تترى وتبقى  بقاء الملك لله القوي

ثم أجاب الاديب سيدي محمد بقوله:

أتت تختال في ثوب بهي  قصيدة ندب سري

حليف الفضل من قد بان بدرا  منيرا في سما العلم الزكي

محمد نجل قطب الغرب شيخ الشيوخ به أبي حسن علي

سقى الرحمان قبرا قد حواه  حيا رحمى كغيث من حبي

فأهدت كل مكرمة وبشر وأبدت كل ترحيب سني

ومنشئها البليغ أرى انبساطا يزاح به عن القلب الشجي

كأخوته الجهابذ من أقاموا منار العلم بالحزم الجلي

فما فيهم سوى حبر همام تقي أو جواد ألمعي

لقد أزروا بكعب وابن سعدى ومعن والجواد أبي عدي

فلا زلت سحائب كل خير عليهم من يد البر العلي

ومني نحوهم أبدا سلام كمثل الند والزهر الندي

تنقشت طيب الطيبين ذوي مجد وهل كان يخفى الطيب عن كل ذي وجد

وكنت إذ أحام الخلي بليلة أرقت لتشواقي الى ساكني نجد

ألفت البكا الممدود منذ تقاصرت أحاديثهم من زائريهم ذوي الود

فهيهات يا خلي الحجاز وأهله اذا لم تباعد من دناك ومن ولد

والا فطران صح ماقد زعمته كما طار في الطيارة الصادق العهد

هو السيد الحاج الرضا البر أحمد سليل البشير الناصري صاحب الرفد

ولما سمت أشواقه وتألبت على نفسه طارت الى الحج بالقصد

فيا فضله اذ حج بيتا تسابقت الى حجه ملائك الواجب الحمد

فمن حجه ينل لديه كرامة ومغفرة من كل ذنب الى اللحد

وحين الطواف قبل الحجر الذي غدا شاهدا يوم القيامة والحشر

هنيئا له شرب بزمزم كارعا زلالا غدا أحلى من المن والشهد

ومذ أسرعت رجلاه بين الصفا وبين مروة وفاه رضا الواحد الفرد

ومن بعد ما أدى بعرفة منسكا عظيما ومن منى مناه على الجد

ترقى مطي الحزم والشوق قاصدا زيارة خير الرسل ياله من سعد

ولما أتى القبر الشريف مسلما ألح عليه في الدعاء ولم يكد

فآب بأجر كامل كملت له مآربه من غير ريب ولا اد

وحين توفي عبد الرحمان بن البشير 23 رجب 1374 ه، رثاه سيدي محمد بن علي الالغي بقوله:

فما للعين تذرف بالحميم وما للصدر ذا ألم اليم

وما للقلب يقلب في قليب من الازمات يزفر كالسليم

فلا أسلو وكيف وقد توفي وليد الناصري عبد الرحيم

همام سيد بر عفيف كريم ابن الكريم ابن الكريم

سليل الدين ذو شرف مديد ونجل القطب ذي المجد الصميم

فلما ان بدا زهر اشميما طواه الموت كالنبت الهشيم

وكان الشهم يمضي في أمور حسان ليس بالفدم اللئيم

فلما ان رأى الدنيا ستفنى تخير غيرها دار النعيم

فديتك سيدي ان كنت تفدى بكل الناس من رزء عظيم

فصبرا يابني المدني صبرا    فقد نزل الفقيد على الرحيم

فلا تاسوا فان بكم جميعا    تأسى الناس في الامر البهيم

فاسأل ربنا غفران وزر    لنا بالمصطفى طاها الكريم

فيا مرحبا بمن أتانا بــ (غشان) وفاء بعهده ولو فوق كيوان

فكم لكما من خير دنيا وإحسان واحدوثة أزرت نظاما بعقيان

اتصل بنا نعي والدكم الارضي، فكوى أكبادنا بما هو آخر من جمر الغضى فالله يعظم الاجر بمصابه فقد هد الاطواد وفتت الاكباد وجرعنا أمر من الصاب، وجر إلينا أنكى الاوصاب فإنا لله وإنا إليه راجعون، كل نفس ذائقة الموت كل شيء هالك إلا وجهه. (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) فاصبروا واحتسبوا فلكم في رسول الله أسوة حسنة ولو كان البقاء في الدنيا ممكنا لبقي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) واعلموا أن الرزايا تطرق كل سمع وتفرق كل جمع (فالصبر أجمل أما قدر نفذا)

خير من العباس أجرك بعده والله خير منك للعباس

إنا نعزيك لا أنا على ثقة من البقاء ولكن سنة الدين

فلا المعزي بباق بعد ميته ولا المعزي وان عاشا الى حين

وقدم الأديب سيدي محمد بن علي الانغي على أحد الرؤساء الراسلواديين فخاطبه بقوله مستأذنا عليه:

يا أيها الخليفة المرتضى والجهبد الندب الهمام الرضا

والاريحي الالمعي ومن قد امتطى المجد وقاد الندى

نزيلكم وضيفكم واقف ببابكم يبغي اللقا والقرى

فاجاب عنه أديبنا:

أهلا ببكر زفها نحونا سيدنا محمد بن علي

أصدقها الود الذي بيننا من نسبة دامت الى أجل

أسكنها القلب مكللة بزينة التشبيب والغزل

كذا يكون الشعر لا بعر منتثر عن ذنب الابل

وكتب إلى الفقيه الأستاذ بأقا وأحوازها سيدي محمد الهاشمي بن البشير الاقاوي وطنا، والفاسي أصلا لما شرفه سيدنا ومولانا السلطان محمد ابن السلطان مولاي يوسف بظهير شريف عزيز وجيز فخيم تظاهر به بين القضاة الجلة، فاحتفلت له بسببه علماء الملة، وذلك عام 1361 ه. حفظ الله الجميع آمين.

بسم السرور فأنعش الارواحا وأزاح عن أشباحنا الاتراحا

قلبي يميس تلطفا وتدللا اذ بدلت أتراحه أفراحا

نادى المبشر ان سيدنا الرضا القاضي بأقا فضله قد لاحا

حلاه مولانا الشريف محمد بظهيره قسما به وارتاحا

نعم الظهير تضوعت أنباؤه في جو سوس مثل مسك فاحا

وتشنفت منه المسامع بالذي ينسي الجواهر قيمة ورباحا

وتضاءلت لبروزه شمس الضحى يعشي عيون من اغتدى أو راحا

وتشرفت أحكامه وتزينت   ان صادفت كفؤا لها وضاحا

فالله يحفظ ذهنه ويعينه   ان غيره يوما أبان كفاحا

يا أيها القاضي الامام محمد   كن دائما في مشكل مفتاحا

تبقى قرير العين تسلم من أذى   أهل الزمان وصادف نجاحا

مني السلام عليك يا بدر الهدى   يتلى عليك عشية وصباحا

وكتب إليه يوم حج مع خاله:

من أسس المكارم فشيدها، وبنى رسوم المكارم فوطدها وارتدى من المعالي الثوب الضافي، ومن الفضائل السابغ الوافي، سيدنا العالم الالمعي الزكي المحتد اللوذعي

مجد صميم على عرش السماك سما طالت مبانيه وارتقت مظاهره

الاديب النابغة الخاضعة لآدابه وفصاحته آيات النثر والنظام. وسلمت لاستعاراته وتوشيحاته حملة الاقلام، أبو عبد الله سيدنا القاضي الحاج محمد الهاشمي بن البشير الاقاوي أدام الله علاه، وأنجح يده بمناه، وأسبغ عليه ملابس نعماه، آمين وسلام طيب، مبارك صيب، على مقامه العالي بالله، المصون من كل لاه، وبعد فقد حمدنا الله وشكرناه على رجوعكما وسلامتكما من عناء السفر، بعد ما أديتما أنت وخالك الارضى الاغر السيد الحاج السعيد بن بوبكر الهمام، ومن هو في مراتب المجد إمام، صديقنا في الله إذ رباه والده بلبان المحبة وغذاه ما

افترض الله عليكما من زيارة بيت الله الحرام، وزيادة قبر سيد الانام، عليه الصلاة والسلام جعل الله حجكما مبرورا وذنبكما مغفورا، آمين، ولا شك فمن حج بيت الله رجع كيوم ولدته أمه، وفي الحديث بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة فمن زاره دخل الجنة، نسأل الله أن يشاركنا معكم في ذلك الاجر الجزيل. هنيئا مريئا لقد فزتما برضا الله ورسوله، واسمع مني شبه أبيات من الرجز على أنه كما قيل ليس من الشعر ولكن لا أقل من السلام عليكم وحمد السلامة لكم وسامح فانا لو نظمنا فيمدحكم الزاهر لآلئ الدر الباهر لما أدينا حقكم الواجب في السر والظاهر نصها:

حمدا لمن قدر بالسلامة على الهمامين ذوي كرامة

شكرا لمن قضى لنا الاماني وأكمل السرور والتهاني

برجعة الفذين من زيارة لمشهد فليهنا من قد زاره

سيدنا محمد نجل البشير العالم الهمام والقاضي الكبير

الحاج بيت الله في الخزايا من بعد ما أهدوا له الهدايا

وخاله الجواد والنجيب ومن غدا بين الورى حبيبي

سيدنا الحاج الرضا سعيد الرسموكي ذي الندى الحديد

إنكما والله ممن جعلا يوم القيامة الصراط الاعدلا

فلتهنئا من بعد ماقد طفتما بالبيت والحجر قد لمستما

بالبشر والخيرات والرضوان من ربنا الوهاب ذي الغفران

لاسيما اذ زرتما الرسولا فالله يقضي حاجكم والسولا

وفي حديث المصطفى من زارلا تكن له الجنة حقا دارا

صلى عليه الله ثم سلما من ناظم حروفها والكلما

محمد نجل علي سائلا ان يقضي الله له الوسائلا

وكتب إليه أيضا في أمر آخر ربيع الاول 1361ه:

تحية حب من بعيد تأكدت محبته في الله والعهد جردت

على سيدي قطب الندى الهاشم الذي بافهامه شمس النهار توقدت

وبعد فهذا الحب نار اشتياقه بأحشائه تصلاه حتى تعودت

إلا عطفة من بارد الوصل منكم تبرد من نيرانه ما تعمدت

فإني ذاك الخل ماجن عاشق وما قمري بايك بأن تغردت

قدوما شفى قلبي سقام الهوى العذري ويا طالما أبدى لحى لاامني عذري

قدوما جليلا غادر الفرح الذي أطير به حتى أغني كما القمري

فأهلا وسهلا مرحبا بك سيدي ومولاي أحمد الرضا الواضح الفخر

فنعم الذي أسديت ياخير جلة ويا خير مكتسي المهابة والبشر

إمام علوم قد تجلى سطيعها على وجهك الميمون ذي النور والسر

سننت علينا بالزيارة فاضلا وما الفضل إلا للكرام ذوي القدر

جزيت الرضا والخير عن كل خطوة بجاه رسول الله ذي الطي والنشر

ونلت المنى من كل ما ترتجيه من شيوخك منعم الوهاب من الخير

في دوحة المجد والعلياء لا الشجر زهر تفتق بين الفجر والسحر

زهر به ضاعت الارجاء اذ فتحت به الكمامة مثل المسك في الذفر

وكيف لا وهو في خميلة كرمت وطاب منبته أحسن بذا الزهر

ريحانة السيد الصدر الذي ازدهرت أخلاقه كازدهار الشمس والقمر

رأسي السيادة سامي العلم منبعه وان جرى البحث بالتحقيق فهو جري

سيدنا الطاهر الاخلاق نجل علي من قد علا وصفا من وصمة الوضر

قد زارنا فرح مذ زارنا ولد كقمر في السماء غير ذي سرر

انبته الله انباتا وأصلحه وصانه قرة العينين في العمر

عوذته بالاله من شياطين قد تخنسه بالنبي المختار من مضر

ومن أقوال سيدي عبد الله بن أحمد بن سعيد ما رثى به عمته زوجة سيدي الحسين بن علي بن عبد الله الالغي:

ألم يأن اقصار لدهر مفجع بتجريع كاسات المنون مولع

زمان كأن الجو أسود حالك باظلام ظلم الدهر أهل التجمع

ألا أيها الدهر المسيء الذي دهى بكل جليل قاصم الظهر سولع

فيالك من دهر خئون محاذق على غير ود بل معاد مزعزع

ألا فهو حرب كله غير سالم مسالة لو كالكمى المتدرع

فأعظم بحرب سهمها غير طائش يصيب الكلى من أضلع

فأف وأف لاحتمال غضيضة من الدهر لايقوى لها كل أضلع

ألا يا لقومي للنوائب والردى ودهر ملح بالكرام مضعضع

وللشمس من بين الكواكب اذ هوت وللنفس همت بعدها بالتضعضع

ولما سمعت الصارخات عشية ينحن لموت قاطع كل منخع

سكرت وما سكر لمثلي عادة ولكن لحزن مدقع متبزع

(فبت كأني ساورتني ضئيلة) أو اني مابين الوشيج المزعزع

(ألا كل حي هالك وابن هالك) ومن بين من يبكي وآخر منقع

نعم ان فقدان الحبيب بلية فكم من كريم مبتلي وموقع

(عائشة) ان فزت -لاغرو- اننا نقائم موت للكرام موزع

سقى الله قبرا ضم تقوى وعفة شآبيب رضوان بجاه المشفع

وإني مذ أسقيت من بعدها الأسى هياما فما أنجزته غير مدمعي

فيا أيها الانسان هذي عوائد لدهرك فاغنم طاعة الله واهطع

فما فاز إلا كل أروع مخلص كثير البكا من خشية بتصدع

فاجابه أديب (إلغ) سيدي محمد بن علي بقوله:

أمن درر تلألأت من صفائها ويسبي الحجا تنميقها بنظامها

أم الشمس غب الصبح تعشى عيوننا أم الخود بان الحسن تحت لثامها

بلى بنت فكر قد بدت من سمائها مشعشعة كالزهر تحت غمامها

وماهي إلا البكر تاهت تدللا وغنجا فلم تسمح بغير غرامها

تميس بأثواب البلاغة انها لمعجبة بالابتدا وختامها

حوت من بديع القول رقة مترع وترصيع ألفاظ بوفق مقامها

قصيد حوى من كل لفظ أعزه و (حوشيه) مثل المها بأجامها

لقد زفها عبد الاله الى الذي يقوم بحقها وحسن قيامها

فأمهرتها قلبي ابتغاء وصالها أداوي الكلام بالدوا من كلامها

قد أديت –ماجورا– عزاء مصابنا بعمتكم مصماة سهم حمامها

فدم هكذا وارق المعالي دائما الى أن ترى فيها كبدر تمامها

عليك سلام يملأ الافق طيبه كأزهار روض غب فتح كمامها

قصدت حمى ذي الحباء المديد كريم تسامى بغير نديد

علي المقام فريد الانا م إمام الكرام لفضل مزيد

شريف الاصول ومن أمره ات باع الرسول الكريم الوحيد

جلي المناقب قطب المعا رف والمرتقى أفق برج سعيد

عباب المكارم ذو المعلوا ت (علي بن أحمد) بيت القصيد

ذكاء المعارف بدر العلا ونجم الهداية بين العبيد

مغيث المنادى وغيث الندى ربيع النزيل وخصب الجهيد

شفاء العليل وجبر الكسي ر وكهف الضعيف ومأوى الطريد

وعز الذليل وكنز الفقي ر ويسر العسير وقرب البعيد

وباب عظيم لمولى كري م به يدرك القصد كل مريد

إليك أتينا لنحرز ما نروم فما زلت أعلى مفيد

وحاشا يخيب الذي أمكم بشوق شديد وقلب عميد

أشيخا عليا ويا ذا العلا ويا من حوى كل وصف حميد

قصدنا حماك السني فقل لنا (مرحبا) يا سليل الحميد

وجد بالقرى لضيوف طووا اليك من الشوق شقة بيد

ومن بعطف وجد برضا على من يمت بحب أكيد

نقبل أعتاب بابك بل نعفر شيبتنا بالصعيد

ومقصدنا نفحة منك كي يعود أخو الغي مثل الرشيد

وتسمو مراتبنا للعلا بفضل الاله الحميد المجيد

فقد طال اخلادنا للهوى وامارة باتباع المريد

وزاد على شهوات النفوس تهافتنا كالفراش البليد

شربنا كؤوسا من الغفلات ذهلنا بها عن رقيب عتيد

ولم نعتبر بجهالتنا بقوم نراهم كزرع حصيد

نميل اختيالا كأنا خلود ونحن نرى كم صغير فقيد

خسرنا اذا فاتنا العفو أو شفاعة خير الانام الاحيد

فيا رحمة يا إمام الورى لمن ظل حول حماك الفريد

فقد أخجلته عيوب وقد علته ذنوب بغير عديد

وسل عطفة من نبي الهدى يعود بها يومنا يوم عيد

ومن ربنا فلتسل سيدي لنا الخير في ظل عيش رغيد

وحفظا لنا ولآبائنا من الازمات وكل عنيد

وعلما ومعرفة وتقى ونيل طريق العلا والعبيد

وأسنى شفاء لداء الفؤاد وجسم على الداء غير جليد

وحسن ختام بعاقبة تعود بفوز وسعد جديد

لحمى ذوي الفضل الكرام العنصر يأوي الذي يخشى خطوب الاعصر

ولبابهم يسعى الفقير فينثني بعزيز مطلبه قرير المحجر

فحماهم السامي حماية خائف وحباهم الطامي حياة المقتر

ان أزمة بك انشبت أظفارها فبهم على فتكاتها فاستنصر

وإذا رميت من الزمان بحادث فبهم دفاع الحادث المتنمر

فاقصدهم للنصر أو للأس أو للبذل بل ليسار أمر معسر

فهم مفاتح كل خير في الورى وهم الوسائل للمقام الاكبر

فبهم توسل لله فانه يعطيك ما تبغي بغير تعسر

لاسيما ان جئته متوسلا ببني النبي المصطفى المدثر

كوحيد هذا القطر قطب سمائه شيخي (علي) الامام الازهر

شمس المعارف ذي العوارف من له جود كسح الغاديات الهمر

بحر الندى نجم الهدى بدر الدجى كهف اللجا حامي حمى المستنصر

قصد الوفود محط أحمال الرجا حرم له فضل الصفا والمشعر

من أمه في حاجة فقضاؤها بالله حالا مثل لمح المبصر

يا شيخنا إنا حططنا رحلنا في بابك الاعلى فجد بالاوفر

حاشا اذاد وانتم بحر الوفا ولكم رأينا واردا لم تنهر

فارغب الى المولى يفك وثاقنا ويزيل عسرانا لنا باليسر

ضاق الخناق وسيلنا بلغ الزبى من سوء خطب قد غدا كالقسور

فلتشفعوا فينا فقد ضقنا بما لسنا نطيق من الزمان الاكدر

ولتسألوا المولى ينفس كربنا وينيلنا فرجا بهي المخبر

بأبيك (أحمد) الرضا وأبيه عبد الله والحسن المثنى الاطهر

والسبط والزهرا البتول وبعلها صدر الاعالي ذي المعالي حيدر

وبخاتم الرسل الكرام محمد وبآله وبصحبه والمعشر

صلى عليهم ربنا ما فرجت كرب الفقير البائس المتحير

وحوى كمال مراده لما انتهى لحمى ذوي الفضل الكرام العنصر

أمولاي يا (علي) ناداك ضارع  ببابك قد ضاقت عليه المذاهب

يت إليك بالجوار وغربة  وأنت لذي الوصفين واف وواهب

وأنت الذي نرجو النجاة بقصده  وتغمرنا من راحتيه المواهب

حنانيك اني قد تكنفني العدا  فواش يرى هضمي وساع وناهب

وأنت الفتى الحامي الذمار وانني  اذا لم تغثني يا (ابن أحمد) ذاهب

كأني بكم عزتم لعبد دعاكم  ودارت عليه بالهلاك غياهب

دخلت بكم حصن الامان وانني  بكم راغب خيرا وللصد راهب

لبابك أم الآملون وأملوا  وجدت بهم في البيد جرد سلاهب

وعادوا بموصول الرجاء يحفهم  قبول ويعلوهم سنى ومواهب

وعار اذا ما كنت أرجع خائبا  فإنك في كشف الخطوب مجرب

فذو الوزر محتاج الى العطف منكم  فكن مسعفا فالجود شرعا محبب

فيا أيها القطب الفريد معاليا  ويا من له القصاد تسعى وتطلب

ويا من اذا أم الورى نحو بابه يرون مسرات بها الهم يذهب

له اليد في كشف الشدائد والعنا مجيب لداعيه اذا هو يطلب

فكم رد ملهوفا معافى من الردى وصد عن المكروب ما الهم يجلب

هو الشمس الا أنه غير آفل فاشراقه مسترسل ليس يغرب

هو البدر في (سوس) السعيدة ساطع ولولاه فيها ما زهت وهي غيهب

ومن حوله قوم نجوم شوارق لهم في سماء المجد والعز موكب

له مدد فاق البحار مداده فقل للذي يحصي الى أين تذهب

معارفه يهدى بها كل عارف وما عارف الا بها يتقرب

وأوصل مقطوع الوصول بهديه ومن يبد انكارا فلاشك يعطب

فكم ألفوا في ضبط أحواله التي كما الشمس في وقت الضحى كيف تحجب

ولم يبلغوا عشرا لها عند ضبطهم وان هم أطالوا في حلاها وأطنبوا

عليك سلام الله ثم رضاؤه وسائر من ينمى اليك وينسب

مدى الدهر ما حاد ترنم قائلا (ببابك من ضاقت عليه المذاهب)

أحبة خير الخلق أمته التي  توالت لها البشرى وقرت بها عينا

وتاهت به فخرا لدى كل مشهد  وعزت به عزا تكامل في المعنى

وأربت على كل الانام كرامة  وحازت به كل المفاخر في الحسنى

ونالت به أسنى المراقي وأصبحت  تلألؤ من نور لمولده الاسنى

هنيئا سعدتم بالبشير الذي له  مراتب في العلياء عالية المبنى

هنيئا لكم في الكون أعظم رتبة  وفي العود لاتخشون ضيما ولا هونا

فأهلا بـ (مولود) ترفع قدره  على جملة الاقدار طرا بلا استثنا

فأهلا بمن قد زين الله عرشه  بنقش اسمه والكون من نوره استغنى

فأهلا بنور النور والقبضة التي  تقسم منها النور من غير أن تفنا

فأهلا ببدر تم في طالع العلا  جمالا بديعا لا تماثله الحسنى

فأهلا بينبوع الفضائل كلها  ومتبوع كل الخلق في الموقف الاعنى

فأهلا بمحبوب عزيز على الذي  يراه فيا بشرى الذي رمق الحسنى

فأهلا بمحبوب ومن شأنه غدا يقوم مقام الحمد من ربه يدنى

فأهلا وسهلا مرحبا بالذي له مناقب لاتحصى ولو أتعب اللسنا

لمولده لاحت بوارق أسعد على صفحات اليمن تخترق الكونا

وأضحى جمال الله في الكل بارزا على حلل من كل حسن ترى لونا

وأشرقت الايام نورا وبهجة ونكست الاصنام وارتدت الحزنا

وأصبح الأيام عيدا وموسما سعيدا وبالافراح مورده الاسنى

فطب وتنعم واستمع لمديحه فقد شرف المولى بأمداحه الاذنا

وهم به وجدا وافن وابغ سبيله فقد عظم المولى لمنصبه الشأنا

عليه صلاة لا انتهاء لقدرها من الله تترى لاتبيد ولا تفنى

وآله والاصحاب أهل التقى ومن لدين رسول الله قد شيدوا حصنا

أقلبي لذ بالواحد الاحد الصمد فليس سواه في المهمات يعتمد

وان ضقت ذرعا بالذنوب وحملها وأمسيت في هم وأصبحت في نكد

فزر قطب أهل الله والسيد الذي  له السؤدد المخصوص عند ذوي الرشد

إمام ذوي العليا (علي بن أحمد)  له همة والمكرمات بلا عدد

ولي زكي فاضل متفضل  فليس يضيع من بجانبه استند

حباه إلاه الخلق مجدا ورتبة  تقاعس عنها كل من قام أو قعد

أيا ابن الكرام زائرون ببابكم  أناخوا ركابا كلهم يرتجي المدد

فأنجز قراهم سيدي من نداكم  فحاشا يخيب من الى جودكم وفد

إجازة وفد سنة نبوية  بها أمر المختار حقا بلا فند

فكم من كسير قد جبرتم ومعدم  كسوتم ثياب اليسر والعيشة الرغد

وكاسف بال قد رددتم بجبرة  وذي علة أعيت فزالت الى الابد

فيا ابن المعالي عطفة وتكرما  على عبدكم قد جا ليصلح مافسد

أفيضوا عليه من عنايتك التي  ترويه والاباء والاهل والولد

بجاه الشفيع سيد الخلق أحمد  عليه صلاة لا تحد ولا تعد

أشيخي يا (علي) يا ملجأ الورى ويا غوث أهل الجود والمجد والفخر

أتيت كسير القلب مما أصابني من الذل والهوان والضيم والفقر

أغثني أغثني ان فقري أضر بي فمن فيض جودكم ندى البر والبحر

وجد لي بما أرجوه منك تكرما وفضلا وابدل حالة العسر باليسر

وذلي عزا والهوان كرامة وضيمي نصرا لا نضام مدى العمر

فلازلت أرجو من جنابك نصرة أنال بها أمنا ويمنا بلا مكر

لأنك باب الله في كل وجهة وقاصدكم في الامر من صولة الدهر

شفيعي إليك المصطفى نخبة الورى ملاذ جميع الرسل في موقف الحشر

عليه صلاة الله ثم سلامه بلا منتهى والآل ما غرد القمري

وما شاد منشد بباب حماكم كسير الجناح يرقم المدح بالحبر

أشيخي يا (علي) شمس عصرنا وملجأ هذا القطر في العسر واليسر

تكانفنا أسد ضوار وإننا على تلف ان لم تغثنا على الفور

أنلنا الرجا وامنن علينا بعطفة مؤبدة دامت وعزت مدى العمر

عليك من الرحمان أزكى تحية معطرة الأذيال طيبة النشر

وقال يخاطبه عن نفسه وعن ابن عمه سيدي صالح ابن احمد:

علي الشيخ المنير بكل علم حليم ساد غيره في المعالي

وذا شيخي الذي أرجو المعالي به فأحوز ما قد كان غالي

وذا البحر العظيم ان أغص فيه فزت بثروة وكثير مال

سلام كالنوافج او كقسط تضوع به بمدحك في مقالي

فناولني مرامي من دعاء مع ابن العم يسطع في الليالي

فأجابه:

أجل الشيخ يا بدر الكمال ويا فرد المحاسن والخلال

ويا من حل في قلبي محلا أبى التعبير عنه كل قالي

لك البشرى بما ترجو لدينا من الفوز العزيز عن المثال

فجد ولا تقصر في طلاب (فمن طلب العلا سهر الليالي)

وإياك الركون الى أناس رضوا بالدون من تلك المعالي

فبالله استعن وبنجل عم كريم (صالح) جم النوال

وقال أيضا يخاطبه:

فيالك من نجم سما فوق كيوان ومن ولد يرنى له بين أقران

فديتك لاتشغل بما لاتحبه الاماجد من أسلافكم خير عبدان

ولا تهدمن ما شيدوه من العلا ولكن تابعا لهم بجد وإحسان

وخاطبه أيضا يستفز همته الى قول القريض بقوله:

أمحمد بن علي ان أخاك قد  أبدى نظاما صيغ من حر الذهب

واود يارب البلاغة لو ترى  متقفيا لسبيله في ذا الادب

وعليك يا نجل الفقيه تحية  تزري حلاوتها برشفك للضرب

بسم السرور فانعش الارواحا وأزاح عن أشباحنا الاتراحا

قلبي يميس تلطفا وتدللا اذ بدلت أتراحه أفراحا

نادى المبشر ان سيدنا الرضا القاضي باقا فضله قد لاحا

حلاه مولانا الشريف محمد بظهيره فسما به وارتاحا

نعم الظهير تضوعت أنباؤه في جو سوس مثل مسك فاحا

وتشنفت منه المسامع بالذي ينسي الجواهر قيمة ورباحا

وتضاءلت لبروزه شمس الضحى يعشي عيون من اغتدى أو راحا

وتشرفت أحكامه وتزينت ان صادفت كفؤا لها وضاحا

فالله يحفظ ذهنه ويعينه ان غيره يوما أبان كفاحا

يا أيها القاضي الامام محمد كن دائما في مشكل مفتاحا

تبقى قرير العين تسلم من أذى أهل الزمان وصادفن نجاحا

مني السلام عليك يابدر الهدى يتلى عليك عشية وصباحا

من أسس المكارم فشيدها، وبنى رسوم المكارم فوطدها، وارتدى من المعالي الثوب الضافي، ومن الفضائل السابغ الوافي، سيدنا العالم الالمعي الزكي المحتد اللوذعي

مجد صميم على عرش السماك سما  طالت مبانيه وارتقت مظاهره

الاديب النابغة الخاضعة لآدابه وفصاحته آيات النثر والنظام، وسلمت لاستعاراته وتوشيحاته حملة الاقلام، أبو عبد الله سيدنا القاضي الحاج محمد الهاشمي بن البشير الاقاوي أدام الله علاه، وأنجح يده بمناه، وأسبغ عليه ملابس نعماه، آمين وسلام طيب، مبارك صيب، على مقامه العالي بالله، المصون من كل لاه، وبعد فقد حمدنا الله وشكرناه على رجوعكما وسلامتكما من عناء السفر، بعد ما أديتما أنت وخالك الارضى الاغر السيد الحاج السعيد بن بوبكر الهمام، ومن هو في مراتب المجد إمام، صديقنا في الله، إذ رباه والده بلبان المحبة وغذاه، ما افترض الله عليكما من زيارة بيت الله الحرام، وزيادة قبر سيد الانام، عليه الصلاة والسلام، جعل الله حجكما مبرورا وذنبكما مغفورا، آمين، ولاشك فمن حج بيت الله رجع كيوم ولدته

أمه، وفي الحديث بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة، فمن زاره دخل الجنة، نسأل الله أن يشاركنا معكم في ذلك الاجر الجزيل. هنيئا مريئا لقد فزتما برضا الله ورسوله، واسمع مني شبه أبيات من الرجز على أنه كما قيل ليس من الشعر ولكن لا أقل من السلام عليكم وحمد السلامة لكلم وسامح فانا لو نظمنا في مدحكم الزاهر لآلئ الدر الباهر لما أدينا حقكم الواجب في السر والظاهر نصها:

حمدا لمن قدمن بالسلامة على الهمامين ذوي كرامة

شكرا لمن قضى لنا الاماني وأكمل السرور والتهاني

برجعة الفذين من زيارة لمشهد فليهنأ من قد زاره

سيدنا محمد نجل البشير العالم الهمام والقاضي الكبير

الحاج بيت الله في الحزايا من بعد ما أهدوا له الهدايا

وخاله الجواد والنجيب ومن غدا بين الورى حبيبي

سيدنا الحاج الرضا سعيد الرسموكي ذي الندى الحديد

انكما والله من جعلا يوم القيامة الصراط الاعدلا

فلتهنئا من بعد ما قد طفتما بالبيت والحجر قد لمستما

بالبشر والخيرات والرضوان من ربنا الوهاب ذي الغفران

لاسيما اذ زرتما الرسولا فالله يقضي حاجكم والسولا

وفي حديث المصطفى من زارا تكن له الجنة حقا دارا

صلى عليه الله ثم سلما من ناظم حروفها والكلما

محمد نجل علي سائلا ان يقضي الله له الوسائلا

وكتب إليه أيضا في أمر آخر ربيع الاول 1361 ه:

تحية حب من بعيد تأكدت محبته في الله والعهد جردت

على سيدي قطب الندى الهاشم الذي بأفهامه شمس النهار توقدت

وبعد فهذا الحب نار اشتياقه بأحشائه تصلاه حتى تعودت

إلا عطفة من بارد الوصل منكم تبرد من نيرانه ما تعمدت

فغني ذاك الخل ماجن عاشق وما قمري بايك بأن تغردت

وخاطبه أيضا هو والفقيه سيدي عبد الله بن مسعود الالغي والقائد الحسن ابن ابراهيم بن بلعيد

وقد وجدهم يسردون البخاري في رمضان 1364 ه بقوله:

سلام على الجمع المذكر انه سليم من التكسير في كل مفرد

ثلاثة أقمار تباهت بها (أقا) على غيرها من كل قصر مشيد

تفرغتم في شهر صوم الى الذي يكون لكم ذخرا الى يوم موعد

فنعم وجوه كالنجوم تمالئوا على سرد آثار النبي محمد

لقد طبتم طرا بريا حديثه وكيف ومن يمدحه بالذات يشهد

حديث رسول الله خير وسيلة وملجأ الورى من كل مثنى وموحد

به تغفر الاوزار بل يرأب الوني ويهدي لأقوم الصراط الممهد

فأول أقماري الرضا القائد الذي به في المعالي الشم ارفع مقعد

هو السيد الميمون حلف سياسة يسوس بها الاراء في نجح مقصد

هو الاحسن الارضى السني ومن له  بآبائه أسد الشرى خير محتد

فلله ما أولاه من علم التقى  بأفضل زلفى من حديث الممجد

وثاني بدوري سيدي الجهبد الرضا  إمام الندى حلف الطراف الممدد

محمد القاضي الخضم ومن له  صحاح الفتاوي بالدليل المسدد

فان قال ما قس لديه وان سخا  فما حاتم يظمو وما ماء مزبد

وثالثها الحبر الاديب حفيدنا  عبيد الاله ان سألته يرفد

أدامكم الرحمان ملجأ الورى فان  أتى بابكم عاف يعن ويزود

وأسالكم اذا قرأتم رسالتي  دعاء يقيني شر واش معربد

وان تلحظوا أسمى الجناب بدعوة  تجاب فقد أحيا شريعة أحمد

محب الجميع القائد الاحسن الذي  محضت له ودي الى يوم موعدي

وخاطبت الفقيه الاريحي الالمعي الاديب الاجل القاضي في بلد (أقا) وأحوازها إلى (فم الحصن) الى (إيشت) وقد ورد علينا في (إيشت) ونحن اذ ذاك فيها وهو الحاكم بأمر الله ولا يخاف فيه لومة لائم أبو عبد الله سيدي محمد الهاشم الاقاوي الفاسي بما صورته:

يا من به تفخر المعالي  ومن به تشرق الليالي

ومن به يزدهي زماني  مثل ازدها البدر بالكمال

سيدنا الهاشم المعلى  محمد الرضى الخلال

أهلا بكم سادتي وسهلا  فوصلكم قد محى محالي

ثم ذهب عازما على الذهاب إلى (أقا) ليركب من (فم الحصن) فكلفه الحاكم أن يرجع إلى (إيشت) ليقسم مالا فيه فرجع، فقلت له أيضا ما نصه:

بإيابكم آب السرور مع الهنا وأتى المنى وانزاح عن قلبي العنا

يا حبذا يوم اللقا لولاه ما أنسى الذي عمل البعاد وما جنى

لأغر وان اليوم يوم الجمعة الوافي بنور الله فالبشرى لنا

يا أيها القاضي الامام المرتضى فقت السوى مع ما حويت من السنا

ورقوت من رسم البلاغة ما وهي حتى غدا يغشى البصير إذا رنا

أحييت سنة حاتم وبني برا مكة فيالك في مفاخر تقتنى

لازالت الايام تجري بالذي ترضى وتسلم من أذى هذي الدنا

دم في أمان الله مرتفعا إلى أوج الكمال مزايلا كل العنا

وكتب إلى الأديب العلامة المختار السوسي، وقد قدم أولا تهنئة لقدومي من سفر كنت فيه، ثم كتب إثر ذلك ما يتعلق بالموضوع، وهذا مجموع ما كتب:

سيدي وسندي، والآخذ بيدي، ومن هو اذا شح المزن المسدي، الأخ الصادق المجدي، الاستاذ الكبير، العالم الشهير، ومن هو في مجهل الجهل الخريت الخبير، أخونا وخالنا: سيدي محمد المختار، أدام الله مجده الرافع المنار، وسلام الله ورحمته عليه ما فاح الورد وازدهر الجلنار.

هذا ولا زائد على صفاء الأخوة وزائد المحبة، ونحمد الله لك اذ رجعت من سفرك المبارك بسلامة، واسمع شبه أبيات، وان كانت غير رشيقة المعنى والمبنى، فهي مما حلت به من أمداحك كالشهد المجتنى، فان كان فيها خلل فأصلحه وأعلمني به، بارك الله فيك، وهي:

قدمت فعم البشر والقلب ضارع ... الى الله فيما قد دهاه وخاشع

ومذ غبت غاب القلب عنا فإنه ... لتقطعنا الارواح مذ انت قاطع

أتيت فكان الغيث يقفو خطاكم ... فأحييتما الحيتين فالسعد طالع

تذكر ما قد قيل فإنما لمثلكم قد قيل ما أنت سامع

(أتيت ومقصور الحيا لك تابع وممدوده في غير خلقك طابع)

فبالله ياشمس القلوب فلا تبن فقد زلزلت منا النفوس البلاقع

فأهلا وسهلا أيها الخال سيدي محمد من ثدي المعارف راضع

فيا فرحة الأنجال ساعة أخبروا بمقدمك الميمون والله جامع

فصانهم الرحمان حتى تبوأوا ذرى المجد قد كلت عليها المطامع

ولكن قد أنبئنا بأنك عازم على أهبة الترحال والقلب جازع

لقد أخذت (مراكش) ثارها من (إلاغ) يا ويحها ويحا لما هو واقع

فمهلا ف (إلغ) مسقط الرأس إنما إليه بلا شك تكون المراجع

وأسأل سيدي دعاء فانني على العهد والتشواق ما البدر طالع

عليكم سلام الله ماحم للقا غريب وما المشتاق في الوصل طامع

واعذرني سيدي فان تجارتي في هذه الاسواق مزجاة غير ذات نفاق، الله الله ياسيدي (مهيم يا أبا مريم) ولقد أنبئنا نبئا أصم الآذان، وسهرت له العينان، والامر بيد اللطيف الرحمان، وما أحقك بقول القائل:

أشمس الغرب حقا ما سمعنا بأنك قد سئمت من الاقامة

لقد زلزلت منا كل قلب بحق الله لا تقم القيامة

وعلى العهد والمحبة، والسلام.

وقال يخاطب المختار السوسي وابن العتيق:

أهلا بمن جمع المكارم في نسق وغدا بنور هداه يرشد في غسق

من بز في كل الفنون وما له في النظم من ند ينازع ان نطق

من عز قدما وهو بز بفضله وجنى الفخار الجم أول ما انفتق

من قد رسا في القلب مني ما رسا من وده أكرم به ودا صدق

بدر الدجى المولى الامام السيد الن دب الذي حاز العلا عمن سبق

وكذا الامام الفرد ما العين الذي بنظامه يدري بأنه قد حذق

أزكى السلام عليكما من قائل أهلا بمن جمع المكارم في نسق

ومما خاطب به وقد وفد على والده في (إلغ):

يا مرحبا بالسيد ابن السيد ال ندب الاجل الاريحي الامجد

كنز الهدى مفتاح باب مرتج بحر محيط زاخر لم يجمد

شرفت عبدا بالزيارة تائقا للقائك الاسنى الرفيع الاسعد

لازال علمك في الزيادة دائما حتى ترى كالبدر وسط المشهد

لازال ربعك ربع كل فضيلة ومزينا بمحاسن لم تعدد

أنت الذي ان شئت نظما باهرا ينقد إليك ولا انقياد الاملد

فخرا لأواخر وأوائل سيدي نجل الامام الطاهر المتعبد

ورفيقه الجم المحاسن والندى نعم الانيس شبيهه لم يشهد

حاز السيادة سابقا متحليا بفضائل الاخلاق عذب المورد

مني السلام على الاديب (محمد) العالم العالي المقام المرشد

مني على (عبد الاله) تحية تأتي إليه بنفحة لم تعهد

أزكى الصلاة على الشفيع محمد ما الورق في الاشجار ذات تغرد

الجواب من ابن طاهر :

يا سيدا جمع المكارم في يد وحوى بلا تعب صميم السؤدد

يا ابن الالي فخرت بهم رتب العلا من كل شهم في السيادة مفرد

أغربت في نظم بديع خالص قرط المسامع مثله لم ينشد

فكأنما سار النسيم معطرا فتعطرت بشذاه آناف الندى

ان البلاغة حزتها فذا فمن يسأل قصائده البديعة تشهد

لازلت تزداد العلوم مؤمنا ماعشت من مكر العدا والحسد

أزكى التحية والسلام عليك ما غنت مطوقة على غصن ندى

نعم الزمان اللذ وفى بمرادي  مذ طوقت نعماه صفح مرادي

مر يا زمان تريد أطع وقل  اسمع فان اليوم من أعيادي

طبنا بطيب زيارة المدني من  كان الحفيد وأفضل الاحفاد

وافى وعزي خاله نحوى من الا  جر الجزيل مثقل الاطواد

أهلا وسهلا بالحفيد ومن قفا  ندبا أديبا شيمة الاجداد

ان البليدة الغنا قد زخرفت  وتزينت للقائك المرتاد

هذا الوصال لطالما أرجوه من  زمن فجاء به على ميعاد

وصل فرى درع النوى كالنصل اذ  يفري الهزبر به طلا الامجاد

لله هذا الوصل ما أحلاه ما  أنساه للايحاش والابعاد

يا فرحتي لو قد أتى (يحيا) الذي  يحي السرور به من الاكباد

لكن ذاك السيد المدني من  فيه الكفاية بجمع الافراد

حياكما الرحمان في رغد وفي  حفظ وعلم زاخر الامداد

متمتعا برضا المحدود المجتبى ورضا الذي للخلق ذو الايجاد

ولما أصيب العالم بموت شيخنا العالم النسمة الطاهرة والبركة العامة الطاهرة عالم العلماء الراسخين وأديب الادباء المتقين كما قيل:

آثاره تنبيك عن أخباره حتى كأنك بالعيان تراه

مولانا ووسيلتنا الى الله سيدي الطاهر بن محمد بن ابراهيم الايفراني دارا، التامانارتي نجارا رحمه الله وعظم أجرنا في مصابه، وجعله مع (الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين) بجاه النبي الأمين، خدمت جنابه بشبه مرثية استجلابا لرضائه وشكر البعض آلائه وبتعزية أولاده النجباء العلماء الادباء وان استغنوا عن ذلك بما رسخ فيهم من العلوم النقلية والعقلية والآثار النبوية:

انا نعزيك لا أنا على ثقة من البقاء ولكن سنة الدين

فاعذروني سادتي، فهذا لم يكن شيئا مذكورا، فضلا عن أن يكون في الكتاب مسطورا، فجنابكم أعلى، وعلمكم أوسع، وانا كما علمتموني أجهل من ابن يومين، لا أجمع بين كلمتين، لولا ما بي من توقد الأسى، في الحشا، بفراق من لاينسى، وان تعاقب الصباح والمسا، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، وانا لله وانا إليه راجعون، نصها:

هو الموت مشروع الأسنة للورى فأسهمه تصمي أمام ومن ورا

ومهما أتاك بكرة أو عشية فضيف وروحكا الأعز هو القرا

فسر في مناكب الدنا هل ترى بها وحيدا يفوت الموت لو ملك القرى

وفي محكم التنزيل آية أخبرت بأن لا مرد للقضاء اذا عرا

فأين الملوك الصيد أهل الندى ومن على قلل الاجبال شادوا بنا الذرا

وأين النبي المصطفى وصحابه أولو الرشد والهدى المبين ومن قرا

بهم نأتسي لما أصبنا بموت من أصيب به الدين الحنيفي مذ جرى

هو الشيخ قطب الدين والمجد والندى ونور الهدى غيظ العدا خير من درى

هو العروة الوثقى لذا الدين والرجا هو الغوث كهف اللائذين من الورى

مقدم شيخنا التجاني أحمد فمن بحره اذ أورد الزور أصدرا

ملاذي وشيخي سيدي الطاهر الذي أدين بحبه الاله بلا افترا

لنسبة مولانا الخليفة صاحب الس بي أبي بكر نمى غير ما مرا

لقد كانت الدنيا وان نهارها بذا الرزء مسود الاهاب تكدرا

فواحسرتي للدين قد غص غصة برزء فرى أوداجه وفرى القرا

وقد هد ركن المجد واندرست به جبال رواس حين بان وأدبرا

دفاتره مثل المدارس أوهت كجذع النبي عنه تعوض منبرا

ترى زمرا محشورة لصلاته أقامت مصلى ذكر الناس محشرا

ترى زائريه اليوم مثل حياته كأن لم يمت وان تغيب في الثرا

سقى الله قبرا ضمه رحماته فمهما يسل أجاب فورا كما ترا

فمن لعلوم الدين شتى وانه جرى بها مزن ببحر تزخرا

ومن للقريض المعجز السهل فاسردن قصائده تقض العجاب بما ترى

ومن لعويص البحث أو حل مشكل يوضحه مثل الصباح اذ أسفرا

فما لكسير الدين آمن يطبه فهيهات كل الصيد في باطن الفرا

وفي كبدي وحبة القلب جذوة تسعر لاتطفا بدمعي وان جرى

فصبرا بنيه فالكفاية فيكم وزندكم بنور أنواره ورى

وهل فيكم إلا أديب وعالم أريب ومضياف النزيل اذا عرا

فما مات من كانت بقاياه مثلكم وان فيكم قد قال ذا المرء ما فرى

فلاقوا قضاء الله بالصبر والرضا فلا مهرب من كل ما الله قدرا

واني وان قصرت في القول انني أعزي به نفسي ومثلي لنصيرا

لله سيدنا البشير الناصري من كان للمظلوم خير مناصر

تاهت بطلعتك السعيدة الغنا وأضاءت الارجاء وقت تجاور

وسنا الغزالة من سناك قبسة وعماد جون من نداك الزاخر

صغت النظام ولا نظام فرزدق فأهان قيمة فضة وجواهر

دم سيدي والسعد نحوك قاصد حتى تفوز بحصل سبق محاضر

سلام يفوق كل ورد وريحان تخص به يا خير خل ب (إفران)

سلام محب خاضع لبهائكم ومستمطر من وبلكم كل ريان

يحن إليكم طامعا في وصالكم وذا الدهر مناع لوصلة إخوان

ولكنه بالكتب يقنع نفسه إذا عز وصل من يريد لبرهان

وثم عليك أيها العالم الذي برؤيته يشفى المصاب بأحزان

ومن هو ترياق الهموم إذا عرت (سلام يفوق كل ورد وريحان)

أتاني فأحياني من السقم والضنى خطاب بليغ ذي شمائل بلتع

جواد شريف نجل بضعة طاهر كريم سخي ذي فضائل أورع

عليه من العبد الذليل لعزه سلام يفوق كل ورد بمنقع

اتصل بنا موت السيد السند الصدر الاوحد الاجل الفقيه العلامة ابن العلامة، ولد شيخنا البركة سيدي محمد بن ابراهيم الايفراني دارا، التامانارتي أصلا، البكري نسبا، فتكدر علينا الوقت، وضاقت علينا الارض بما رحبت، ودكت جبال الصبر، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وما كان بينه وبين والده شيخنا سيدي الطاهر إلا عامان ونصف، فلا حول ولا قوة إلا بالله، فموت العالم ثلمة في الدين، لاتسد الى يوم القيامة:

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد

فهكذا تنقرض الدنيا بأخذ الأمثل فالأمثل، حتى لايبقى إلا الاشرار ومن لافائدة فيه، فتقوم عليهم القيامة، اللهم اجعلنا من الذين أحببتهم، وهديتهم الى طريقك المستقيم، والخاتمة الحسنى، والحشر مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين، آمين يارب العالمين، وقد فاضت روح هذا السيد في الثلث الاخير من ليلة الاربعاء الذي هو واحد وعشرون يوما من ربيع الاول وترك والحمد لله ولدين الابرين الفقيه المدرس في مدرستهم سيدي المدني، وأخاه

سيدي يحيا، وهاذان من أختي (تعزى) وله والحمد لله بعد التزوج من عند أخواله أولاد سيدي

المدن الناصري أولاد آخرون عظم الله أجرهم في المصاب بأبيهم وخلفهم في مقامه آمين،

وكذلك أخواه سيدي عبد الله وسيدي أحمد وهما شقيقان، وله أخوة للأب من حفدة سيدي

البشير الناصري رضى الله الجميع، وجعلهم في بحبوحة جنات النعيم بجاه النبي الشفيع الكريم

صلى الله عليه وسلم، وقد رثيته بشبه أبيات أداء لبعض ما يجب علي، وان لم أكن أهلا

لذلك، غير اني مصدور، والمصدور لابد أن ينفث.

هو الموت لاتجزع فليس بنافع فقد عم كل الخلق كهل ويافع

وما الموت إلا المورد المر كلما تورط فيه الحي ماس مدافع

فما الجاه والاموال والعلم والندى اذا أشرع السهم المصيب بنافع

تلو تنفع الدنيا وزخرفها الذي يذم لما سيمت بتحذير شارع

الكم من فتى قد شاد صرحا ممردا وكم جاهل سن الندامة قارع

فبالله يا خلي فخل تمسكا بتقوى الاله كل مغو وسارع

فما العمر إلا لحظة فاغتنم به مصانع خير باتقاء مصارع

فما أنس لا أنس النعي بموت من يشير له (سوس) بجمع الاصابع

أمره الناعي على حين غفلة فنبهت حينا اذ رزئنا بفاجع

مصاب أصاب الدين والروح والحجا ومن الزما فليصنعوا شر صانع

أصبنا بمحمود الفعال محمد غدا صدر هذا الدهر صدر المجامع

محمد نجل الطاهر الشيخ سيدي أبي البركات اليفرني خير خاشع

أبا المدني الندب يا عالما علا مقاما سنيا فات ادراك طامع

رحلت عن الدنيا عزوفا لشأنها وأدبرت عنها قاليا غير راجع

فهيهات ما شنفتنا من قصائد حسان وما أوليتنا من صنائع

وهيهات ذاك الدرس في الدست ان تجل بفكرك في بحث فما من مضارع

فسبحان من أولاك علما معززا بحلية خط رائق الصوغ بارع

قدمت على الشيخ الابر ووالد عطوف بكم فكن به خير ضاجع

وقد كنت في محياه قرة عينه  فصرت سميرا جاره في المضاجع

فصبرا (عبيد الله) والصنو (أحمدا)  وغيرهما مثل النجوم اللوامع

وصبرا بنيه فالنبي وصحبه  لنا أسوة فالصبر شيمة وارع

ففيكم بحمد الله منية سائل  وغنية نازل لحسن الصنائع

فنسأل رب العرش سبال رحمة  على جدث مغيب زهر طوالع

وان يجمع الاشياخ تحت لواء من  ينادي به غدا أيا خير شافع

تولى الله بعنايته وحفظ برعايته  وخص بخصوصيته أهل ولايته

وقال يخاطب عن نفسه وعن ابن عمه سيدي صالح ابن أحمد، وفي القطعة إصلاح لبعض اللاغيين، لأن الاديب قالها في أيامه الاولى:

على الشيخ المنير بكل علم حليم ساد غيره في المعالي

وذا شيخي الذي أرجو المعالي به فأحوز ما قد كان غالي

وذا البحر الغطمطم ان اغص فيه فزت بثروة وكثير مال

سلام كالنوافح أو كقسط تضوع به بمدحك في مقالي

فناولني مرامي من دعاء مع ابن العم يسطع في الليالي

فأجابه بقوله:

أيا نجل الشيخ يا بدر الكمال ويا فرد المحاسن والخلال

وَيا من حل في قلبي محلا أبى التعبير عنه كل قالي

لك البشرى بما ترجو لدينا من الفوز العزيز عن المثال

فجد ولا تقصر في طلاب (فمن طلب العلا سهر الليالي)

وإياك الركون الى أناس رضوا بالدون من تلك المعالي

فبالله استعن وبنجل عم كريم (صالح) جم النوال

وقال أيضا يخاطبه:

فيالك من نجم سما فوق كيوان    من ولد يزني له بين أقران

فديتك لا تشغل بما لا تحبه الاماجد من أسلافكم خير عبدان

ولا تهدمن ما شيدوه من العلا    ولكن تابعا لهم بجد واحسان

وخاطبه أيضا يستفز همته الى قول القريض بقوله:

أمحمد بن علي ان أخاك قد أبدى نظاما صيغ من حر الذهب

وأود يارب البلاغة لو ترى متقفيا لسبيله في ذا الادب

وعليك يا نجل الفقيه تحية تزري حلاوتها برشفك للضرب

فأجابه الأستاذ وقد غير الوزن على غير المألوف عندهم أو لعل هذا الجواب لغير هذه الهمزية:

برزت في الجمال بنت ذكاء غازلتنا بمقلة وطفاء

غادة صاغها من القول طبع قد تحلى برقة وصفاء

وجلاها محمد بن علي في منصات رونق وبهاء

وغذاها بماء فكر رمد ته فهوم بصيب الانواء

فزهت من حلى البيان وكلت عن مداها قرائح الشعراء

زاده الله نور فهم وابدأ ه بأفق العلوم بدر سماء

بانوا وما ودعوا فخلفوا كمدا شوى وانحل منا القلب والجسدا

رحيلهم أسكن الاسقام في كبدي من لي باطفاء حزن جمره وقدا

ياعجبا كيف ينسون أخا حرق لم ينس قط عهودهم وان طردا

فكيف عيش الفتى غضا اذا فقدت أترابه وهو يبغي عيشه رغدا

كيف الحياة وهذا السيد المدني نجل علي قضى ووجهه فقدا

من لي به من فقيه أيد ندس أمام من قد هدى في الدين أو رشدا

من لي به من أديب مصقع حذق يفري فري كمي لابس زردا

من لي به من أديب مفلق خضر مخلف ايعاده واف بما وعدا

من لي به من محقق اذا ذكرت أبحاث قوم فبحثه غدا السندا

من شب يقري الى دب بمدرسة يروي الالي صدروا عنها ومن وردا

فان بدت أزمة وبددت زمرا فهو على الدرس مقرئا وقد صمدا

فياله من كريم داره قصدت شرقا وغربا فلا يجفو بها أحدا

بنى على فصبرا ان ذاعمهم في كل خلق وان طغى وان حشدا

فالله يرحمه فضلا وينهله بمقعد الصدق مأواه مع الشهدا

بجاه أشرف خلق الله كلهم صلى عليه صلاة فاتت العددا

وقال مرحبا بالوفد الافراني الذي يقدمه العلامة سيدي الطاهر بن محمد عادة قصيدة يقول في أولها

-وهي من أولياته-:

فرح القلب سادتي بالتلاقي بعدما اشتد شجوه بالفراق

قد تفضلتم علينا بوصل هو أرى المحب عند الحذاق

سادة شرفوا العبيد بزور بين الخير للعلا منساق

مرحبا بكم وسهلا فأنتم مورد القلب فرحة العشاق

كرماء أهلة نجباء علماء الجواب عند انغلاق

ما الفخار الا لمن فاز منكم بدعاء أو نظرة أو تلاق

فهنيئا لأحمد السمح لما جاء سيرا فحاز خصل السباق

قد رجوت لديكم أيها الجمع دعاء فذ المنى ترياقي

فسلام عليكم كل ماح من محب لحبه للتلاقي

فأجابه العلامة الكبير سيدي الطاهر بن محمد علي عادته في جواب كل من يرحب بالوفد الافراني الذي يقدمه دائما الى (إلغ):

نسمت من قريحة مغداق نسمة عطرت شذا الافاق

نسمة من قصيدة جادها الفكر ربماء ذكائه الرقراق

قد جلاها محمد بن علي غادة تستبي بحسن مساق

ووشاها بكل لفظ رشيق وغريب من المعاني الرقاق

وأدار منها على القلب كأسا أسكرت كل شارب أو ساق

نشرت من أزاهر الادب الغض فنونا أعيت على الحذاق

وأقامت سوق القريض فأغلت سومه بالفهوم لا الاوراق

فاجتهد يامحمد والزم الجد فبالجد يرتقي كل راق

كل عزان لم يوطد بعلم فهو ذل والذل مر المذاق

كل مال يفنيه انفاقه وال علم ينمو بكثرة الانفاق

ملأ الله قلبك الصافي الحمر آة علما مروق الاذواق

وسلام عليك ما مجت الاق لام مسكا بروضة الاوراق

وقال أيضا يخاطب الشاعر الافراني في كتاب:

أمرغ خدي في مشاهد سيدي وأحثو ثراها فوق عيني والخد

وانشد في دار الحبيب تحببا لاطفئ عن قلبي لهيبا من الوجد

فبشرى لقلبي اذ هدى لزيارة تلحقها الاسرار من منبع السعد

فيا سيدي وملجأي ومسندي وغوث رجائي حالة القرب والبعد

وصلت جنابا لايضام مضافه ولا يكتوي بنار هجر ولارد

فأن تقبل العبد الحقير لضعفه فيا حبذا أولا فيا حبذا أولا فيا حسرة العبد

فها هو محسوب على كل حالة على سيدي بدر الهدى الكامل المجد

وكان يوما يقيم الاتاي، فمد الكأس للأديب أحمد بن زكرياء وقال له:

أتاي أحمر الخدين فانظر وقل ان ذقته لله درك

ثم ذيل البيت بعض الالغيين فقال:

أجل فيه لحاظك تستبن من سرائره اذا ما صين سرك

له حبب يشعشعه اذا ما ترشفه تفجر منك بشرك

كأنك اذ تمص تمص ثغرا وقد لقم الشفاه اللعس ثغرك

لله درُّكَ يا مباركُ طالما    ألزمتَ نفسَكَ خدمةَ الأخيارِ

فكفيتهم كلَّ الشؤون فلا تُرى    إلا بُصحبتهم من الأسفار

في شقَّةِ الأسفارِ تبدو حالة الْـ    أصحابِ من خيرٍ ومن إشرار

دمْ خادمًا للعلم تحت ظلالِ مَنْ    خضعَتْ لهيْبته طُلا الأحرار

شيخي الذي طابَ الربيعُ بنشْرِهِ    وبنورِ طلعتِهِ سنا الأقمار

أما الغمام فدون واكف سَيْبِه    أما العلومُ فلجَّةُ التّيّار

أما اللطافةُ فهي من أخلاقه    تُزْري بما قد هبَّ في الأسحار

أو زهرةٍ وسْطَ الخميلة بعدما    قد حسَّها سَحَرًا يدُ الأمطار

سبحان من أولاه خُلقًا كاملاً    ومواهبًا مرفوعةَ الأقدار

يا سيِّدي إني إليكَ لمُنتمٍ    حِسّاً ومعنًى فاقضِ لي أوطاري

متوسلاً ببَنيكَ خيرِ أعزَّةٍ    ونجومِ هذا العصر في الأقطار

فاللهُ يحفظُ عِقْدَهم ويحوطُهم    باللُّطف من أهل العِدا الأشرار

ويُنيلُهم أعلى المناصبِ بالتُّقى    حتى يُرَوْا من سادةٍ أخيار

وقد خاطب الشيخين سيدي الطاهر وسيدي العربي الساموكني بقوله:

بدران قد طلعا بأفق سعود في سعد مذ خلقا بخير صعود

قل للذي يبغي منالهما فلا تتعب فذا فضل من المعبود

فحباهما الرب الكريم بأنعم لم يحصها انشاء نظم مجيد

تلقاهما متهللين فلا أرى مثل السنا الاسنى لأهل سعود

سادا الانام بسبق كل فضيلة صار أمدى الايام سر وجود

وفدا على شيخي أبي الحسن الذي فاق السوي فالوفد خير وفود

فغدا الامام يبين من إكرامهم مالا يعد فذاك صنع ودود

فعليكم بيد العبيد محمد أذكى وأبهى من زهور نجود

جواب سيدي الطاهر:

أحمد يا ابن الكرام الصيد يا من دنا لعلاه كل بعيد

أهديت بنت الفكر تزهو في حلا وشي البلاغة فازدرت بالغيد

نظمت يواقيت المعاني غضة فحكت جواهر نضدت في الجيد

نفثت بسحر كان أسبى للنهى من نفث بابل والجفون السود

قسما بمن أغلى وأعلى رتبة الا داب في أنظار كل مجيد

ان القصائد ان أجادت سبكها الافكار أحسن من ظباء البيد

وأرق من لطف الهوى وألذ من ظلم الحبائب وابنة العنقود

هذا وأحسن ما به يعني أمره رام العلا وأمد بالتأييد

أدب يؤنس في الخلا ويزينه بين الملا برواء المحمود

فالزم حماه وجد في تحصيله واشف الغليل بورده المورود

مني عليك تحية موصولة أحمد يا ابن الكرام الصيد

وقال أيضا يخاطب سيدي الطاهر أرسلها اليه من (إلغ)، من قطعة معها رسالة لم نقف عليها:

يا أيها العقد الفريد وغرة ال دهر البهيم ونجعة المرتاد

والعالم الشيخ الامام بحلبة الا فتاء والتعليم والارشاد

ومن ارتقى بين النوابغ خطة الا عجاز في الانشاء والانشاد

من كان لي يوم الوغى درعا به أحمى من الاعداء والاوغاد

نوري اذا ما ضل سار اهتدى بسناه بين قوافل القصاد

فانظر لعبدكم بعين رضاكم فهو الغريق بلجة الافساد

واسأل له من ربه صفحا على زلاته تمحى من الامداد

أزكى السلام عليك ما هبت صبا تحيي مشوقا مات بالابعاد

فأجابه الأستاذ بكل ما يأتي شعرا ونثرا:

وصلت رسالة نخبة الامجاد نجل الشيوخ مناهل الوراد

فرع السيادة زهر أفنان العلا زاكي الشمائل مرغم الحساد

بدر الدجنة سيدي من سادة غر هداة قادة أمجاد

من حل في صدري محل ضميره حبا ومن عيني محل سواد

ان أدعه ولدا فرتبته ربت بأبر في قلبي من الاولاد

فهو الحبيب ولم أجد مثل المحب ة لفظة أندى على الاكباد

ذاك السري ابن السري محمد ب ن علي الإلغي غيث الصادي

لازال في كنف الصيانة عالي ال كعب المبارك دام الاسعاد

مني السلام عليه ما شاقت صبا صبا رمته بد النوى ببعاد

الأخ القريب بل الولد الحبيب، نجم السيادة، وبدر السعادة، قرة العين، ومنية النفس، وعيبة الانس، سيدي محمد ابن شيخنا بدر الهداية، ومورد العناية، سيدي أبي الحسن أدام الله تلك الجلالة وارفة الظلال، وحفظ هاتيك المثابة الزكية الخلال، الطاهرة الجمال والجلال، وسلام عليه من قلب يحبه، يوحشه بعده ويونسه قربه، ورحمة الله وبركاته، هذا وقد وردت الرسالة الكريمة، وما أدراك ما الرسالة. جلبت الى القلب الحزين ما أنسى الاهل والبنين وأسلى عن كل قرين، بما توحشت به من برد البلاغة المنمنم وتعطرت به من نفحات البيان الذي نم، وتحلت بعقد القصيدة المعجزة، التي هي لقصب السبق محرزة، وقد دعتني القريحة الى المنادمة على دنها، والتروح بأفنان فنها، فأكدى الخاطر، وأعيا عن مساجلة سحابها الماطر، فعارض الصيب بالجهام وقابل الصارم بالكهام، فقلت كما يحكي الصدر صوت الصائح، أو يحاول الاعزل مصاولة الرامح (تلك الابيات) فدونكها بني ان كنت تستبدل بالصارم العصا أو تأخذ عن الدر الحصى، وإلا فمن لي بشأوك، والطيران في جوك، وقد قص جناح الادب وهيض ونضب ماء البيان المستعذب وغيض، وكسدت بذهاب الشباب والاتراب سوق القريض، فأبقاك الله سيدي للأدب تجيل قداحه، وترتشف كيف شئت أقداحه، وتوري نار البيان بزند الخاطر كلما رمت اقتداحه، وتدير على بني الادب العطاش

راحه، وترد على الخاطر القريح ببوارح التبريح انشراحه، وأقول (كما قال أديب الاندلس :

أحيا الله الادب وبنيه، وأعاد علينا من أيامه وسنيه) فأصدح يابني بفنون الاداب، على

أفنان الشباب، صدح الحمام على الغصن المروح، وقدما شأوت حتى صوحت نبات ابن

نباتة وطوحت بذكر ابن مطروح، وكيف لا وأنت سر الشيخ رضي الله عنه أبيك، فلم يزل

يغذيك بماء الادب ويربيك، الى أن غصت من بحره على دره، بما وقفت إليه من

ملازمة بره، فظفرت يداك، والله يكبت عداك، بالبحر الذي قال فيه المتنبي:

ومن كنت بحرا له ياعلي لم يقبل الدر إلا كبارا

فلله درك من فذ جد فوجد، وملأ الراحة من الدر والعسجد، مع اغتنام الراحة فما أغار ولا

أنجد، فقد عرفت فالزم، والكتبك الصيد فاعزم، فالله يصلحك ويقيك ويديم سعدك

ويبقيك، وسلام مني على حضرة الشيخ أرضاه الله، وعلى جميع السادة الاخوة، أدام الله لهم

الحظوة، في ليلة الجمعة رابع شعبان 1346 ه.

أبرق بدا من نحو تلك المرابع أم التاج نحو الشام أم من مناصع

بلى قد بدا نظم البشير بن طيب قلائد شعر بذ كل المصاقع

قلائد در ناصع فمن اجتلى سيخلبه لألأء أبيض ناصع

فته انه ألقى السلاح زهير مع جرير وكفا عن دخول المعامع

أيا حائزا نظما وعلما ومفخرا فرعت لعمري في العلا كل فارع

سموت سموا لم يرم فوقه ارتقا فأخفضت من كانوا صدور المجامع

عليك من الرحمن ألف تحية أيا خير مقوال ويا خير بارع

وخاطبه قرينه سيدي صالح الالغي من رسالة يستزيره:

أيا من هو الغوث المهيأ عدة ويا من له كل الكمال بلا عد

لقد نال قلبي في العباد وشدة إشـ ـتياق مقاما لايطاق من البعد

فعطفا علينا بالوصال ورفده فأنت أخ يولي الجميل مع الرفد

فأجابه المخاطب:

سلام كما قد فاح غب الحيا العد نسيم ذكت أنفاسه بشذا الورد

على بدر أفق المجد والعلم صالح بـ ـن أحمد من لاح في مطلع السعد

فلا زال يسعى في اقتناء شوارد ال علوم الى أن يرتقي ذروة المجد

فاني سآتيكم كما تبتغونه بنفسي بالوصل الجميل وبالرفد

وكتب إليه هذا الاديب يعاتبه على تركه لبيته بالمدرسة مع انه استلبثه الى أن يرجع إليه:

أيا صالح ماذا فعلت ألم أكن أمرتك أمرا قد خرجت لدفعه

أمرتك بالبقيا ببيتي فخنتني مخالفة والمرء يجني بطبعه

فأجابه سيدي صالح:

فلا تنسبني للجناية يا أخي فكل فتى يجني على قدر طبعه

فقصدي لدى تركي لبيتك أن ترى بأني أيضا من يسر بربعه

(نزعت الى التخفيف عنك وأنت قد نويت سوى والكل يجزي بنزعه)

والبيت الثالث من أقوال بعض الالغيين، أجاز به بيتي سيدي صالح.

أمن بعد ما أودى الهمام الذي سما علاء وهمة ومجدا على السما

أريد طوال العمر أبغي مسرة واستنشق الزهر العطير تنسما

وكيف وعبد الحي سيف مهند فأغمده كف المنون مثلما

وليد أخي عبد الاله وشيخنا ومن كان أحرى بالعلوم وأعلما

ولست المصاب مفردا بل جميعا مصاب برزء ما أحر واضرما

فمن بعده للدرس والحفظ انه عقول فان يسئل أجاب مصمما

لقد طمحت عين الكمال لرشده ولكن أصابته فصار مرخما

ألا هكذا الدهر الخئون فان أتى بشيء يقر العين اتبع صيلما

ألا تستحي ياموت لما خلسته يتيمة سمط كان عقدا منظما

خلست خلا لا كالنسيم اذا سرى حياء عفافا في شباب تكرما

وقد قيل تعتام الكرام وتصطفي عقيلة نزل كان قد ما مدمما

فلله ما أودعتنا من كآبة بغير وداع اذ رحلت مكرما

نأيت عن الدنيا الدنية مدبرا    فأعطيت في الجنات مأوى وانعما

رضينا بما قد قدر الله انه    سيأجرنا عن فادح الوقع أعظما

فصبرا أخي صبرا جميلا فانما    دواء المصاب الصبر مهما تحتما

فنرجو له الرحمى من الله منة    بجاه النبي صلى عليه وسلما

وقال أيضا يخاطب سيدي الطاهر بعد قدومه من سفر، وقد ذيل آخرها بعض الأدباء:

بشرى الفؤاد ومطمع العين وأعز من ذهب ومن عين

سوداء قلبي نوره مهما دجا ليل الفراق بظلمة البين

شيخي وأستاذي وأحمى جنة من أزمة نابت ومن حين

سفر به نجح المقاصد كلها قد أبت منه اليوم بالدين

قد غبت عن هذي البلاد فغاب عن ها معك بشراها بلا مين

إذ أنت منها روحها وفؤادها كيف الجسوم بغير هاذين

بسلامة هذا الإياب وبهجة وصيانة من كل ماشين

أزكى السلام كنفحة وردية تنحو مقامك قرة العين

جلس يوما مع الاديب سيدي أحمد بن محمد اليزيدي فتساجلا هذه الابيات:

قال اليزيدي:

خامرتني الرحيق من كأس خمر منذ سقتني تناءت الاتراح

فقال ابن علي:

وأتاني السرور ينفي كروبا قد أحاطت من قبل مهما تزاح

اليزيدي:

أسقنيها بغدوة ولك الاج رجزيلا والمزج ماء قراح

ابن علي:

فإذا فاتت الغداة فأطيب بأصيل به النهى ترتاح

ولما اطلع المختار السوسي على هذه المساجلة قال:

ان روحي تلك الرحيق وهل يم كن عيش ان زايلت أرواح

لكل جسم وما تعود في العي ش وعيشي مدى الزمان الراح

غير أن الشراب لابد من نق ل وزهر به ترى الافراح

فأنا مكتف بظلم غزال وبوجه خدوده تفاح

ورحب بالأديب وقد ورد مرة إلى إلغ بقوله:

أهلا بمن قد أتى والقلب يرعاه في القرب والبعد لست قط أنساه

من ساقه الشوق نحوي رد لي جذلي شكرا فقد أنس الاحشاء مرآه

ياحبذا الوصل ما أحلى مذاقته يزري بشرب سرى في الجسم سراه

يشفي الوصال جراح البين في كبدي وقد أزاح عن الفؤاد غماه

فأنعم وطب خاطري فالسؤل في قرن وابغ رضا الرب في العلم وتقواه

واحرص فديت على نشر العلوم وكن موضح اللفظ مع تبيين معناه

فالله يبقيك بدرا اذ يقيك من العـ ين ويقضي الذي تبغي وتهواه

مني السلام على علياك معتذرا بالعي اذ لم أوف المدح أقصاه

وزار مرة ورفقة من الطلبة الاديب سيدي محمد بن علي بالمدرسة (الإيغشانية) فقال الاديب سيدي محمد بن علي يرحب بهم:

أيا مرحبا بمن أتونا بغسان وفودا بعهود الوصل من غير نسيان

فكم لكم من حسن ذكر معطر وأحدوثة أزرت بمنظوم عقيان

لقد قمتم بحق ما بيننا وقد قطعتم سوامي يا أفاضل أخدان

وذيلها بعض أدباء إلغ:

كذاك يكون الودان كان صافيا متمنة أسبابه بين اخوان

فان كنت ذا ود ولم تك زائرا أخاك فدعوى لم تؤيد ببرهان

وقال مهنئا، وقد سقط أول القطعة ولم أجد منها إلا الأبيات الآتية:

هنيئا مريئا أيها الخال بالذي منحته من ذات المجادة والمجد

فلله يوم نلت فيه الذي تشأ على رغم كل الحاسدين ذوي الحقد

فما شئت من حظ فخيم ومنة وإقبال عز والزيادة في الأيد

لقد كان هذا اليوم يوما محجلا أغر كلمع الدر في لبة الخود

ولا غرو أنت السيد الماجد الرضا الـ ذي حاز ارثا من أصول ذوي رشد

كأني بالعرس الذي أخبر المبش رون به كالحور في جنة الخلد

أوان وفرش والنشيد كأنما سرت نسمات الصبح في روضة الورد

أدام إله العرش جمعكما على بساط التهاني والمسرة والسعد

وصان من الأغيار ساحتك التي إليها التجاء طالبي الخير والرفد

على قدرك المرفوع صوب تحية زرت بأريج المسك والعود والند

وأعذرني ياسيدي من هذه النفثة، فما للنجوم الثواقب من إحصاء، وقد دعوت لكما بالرفاء والبنين، ولكن عليك ما عليك إذ لم تعلمني والسلام. حفيدكم محمد بن علي لطف الله به.

ووجدت فوقها بخط المهنأ:

جزيت كفاك الله غائلة الدهر على شعرك المنظوم كالدر في النحر

فصاحة قس حزتها سيدي فلم ينلك سواك في الرسائل والشعر

...

سيدنا الذي أبدى من الهدى سرجه، وقوم من الدين عوجه، ذو المزايا الجليلة، والمكارم الجميلة، خالنا سيدي محمد ابن الشيخ المقدس كرم الله، أدام الله عزكم وأبد حرمتكم، وسلام الله ورحمته وبركته عليكم، أما بعد فهذه أبيات تقف مائلة مهنئة بالعيد المبارك، وستطلبه حاجة من يقف عليها لايؤم الادارك.

إني شغفت بنفح الطيب ياسندي   خالي محمد مكنه بكف يدي

ونفح خلقك قد عمت روائحه   هذا البسيط فأذكى سائر البلد

فاليوم عيد مبارك نسر به   والكتب خير أنيس فيه للخلد

فأنعم وطب وابتهج وافرح فمجدك في   زيد وفضلك كل الدهر في صعد

ومن أقوال سيدي عبد الله بن أحمد بن سعيد، ما رثى به عمته زوجة سيدي الحسين بن علي بن عبد الله الإلغي نصه:

ألم يأن اقصار لدهر مفجع بتجريع كأسات المنون مولع

زمان كأن الجو أسود حالك باظلام ظلم الدهر أهل التجمع

ألا أيها الدهر المسيء الذي دهى بكل جليل قاصم الظهر سولع

فيالك من دهر خئون محاذق على غير ود بل معاد مزعزع

ألا فهو حرب كله غير سالم مسالمة لو كالمي المتدرع

فأعظم بحرب سهمها غير طائش يصيب الكلي من اضلع المتسرع

فأف واف لاحتمال غضيضة من الدهر لايقوي لها كل أضلع

ألا يا لقومي للنوائب والردى ودهر ملح بالكرام مضعضع

ولما سمعت الصارخات عشية ينحن لموت قاطع كل منخع

سكرت وما سكر لمثلي عادة ولكن لحزن مدقع متبزغ

(فبت كأني ساورتني ضئيلة) أو اني مابين الوشيج المزعزع

(ألا كل حي هالك وابن هالك) ومن بين من يبكي وآخر منقع

نعم ان فقدان الحبيب بلية فكم من كريم مبتلي وموقع

(عائشة) ان فزت -لاغرو- اننا نقائم موت للكرام موزع

سقى الله قبرا ضم تقوى وعفة شآبيب رضوان بجاه المشفع

واني مذ أسقيت من بعدها الاسى هياما فما أنجزته غير مدمعي

فيا أيها الانسان هذي عوائد لدهرك فاغنم طاعة الله واهطع

فما فاز الا كل أروع مخلص كثير البكا من خشية بتصدع

فأجابه أديب (إلغ) سيدي محمد بن علي بقوله:

أمن درر تلألأت من صفائها ويسبي الحجا تنميقها بنظامها

أم الشمس غب الصبح تعشي عيوننا أم الخود بان الحسن تحت لثامها

بلى بنت فكر قد بدت من سمائها مشعشعة كالزهر تحت غمامها

وما هي الا البكر تاهت تدللا وغنجا فلم تسمح بغير غرامها

تميس بأثواب البلاغة أنها لمعجبة بالابتدا وختامها

حوت من بديع القول رقة مترع وترصيع ألفاظ بوفق مقامها

قصيد حوى من كل لفظ أعزه و (حوشيه) مثل المها بآجامها

لقد زفها عبد الاله الى الذي يقوم بحقها وحسن قيامها

فأمهرتها قلبي ابتغاء وصالها أداوي الكلام بالدوا من كلامها

قد أديت –مأجورا– عزاء مصابنا بعمتكم مصماة سهم حمامها

فدم هكذا وأرق المعالي دائما الى أن ترى فيها كبدر تمامها

عليك سلام يملأ الافق طيبه كأزهار روض غب فتح كمامها

وقال الاديب محمد بن علي الالغي من قطعة نصحية مطلعها، وهي من مبادئه:

سلام على مثوى الاخي ابي زيد ببلدة ذي الاحبال حيث ذوو المجد

وحيث أناخ العلم فيه مطيه تلقاه بالترحيب والكد والسهد

فهاك أخي مني النصيحة فابسطن فراش قبول تحظ بالفوز والرشد

فأجابه الاديب عبد الرحمان البزاكاري وقد غير القافية على خلاف عادتهم غالبا، وهي من أولياته وقد قدم أمام الجواب هذا النثر:

من له مآثر جلت عن الحصر والتعداد، واليه المكارم تعزى فمنه تكتسب وتستفاد، سيدي محمد بن علي الالغي، لازال فائزا بكل ما يأمل ويبغي، آمنا حياته مكر كل عدو يبغي، سلام الله عليك ورحمته وبركاته.

أما بعد: فقد وصلنا الكتاب، وفهم الخطاب، فسكرت والله لما طالعته كأني نشوان راح، وإنما ذلك لما أجد له من سرور وأفراح، فلقد أتيت بالشيء العجيب، وأفدت والله كل معنى غريب، فلله درك من أديب بارع مسام، ومن قائد مطايا البلاغة من غير زمام، وما ألطف قول القائل، وما أفصحه غير حائد عن الحق ولا مائل:

ما كل من طلب المعالي نافذا  فيها ولا كل الرجال فحولا

ثم إني حاولت الجواب، والله أسأل ألا يعدل بي عن طريق الصواب، فقلت:

فما الخود إن قلدن بالعقد والدرر  وأبدت جمالا يخجل الشمس والقمر

وما الروض إذ غنت به الورق والعها  د قد جاده وهنا فنم له الزهر

وما أكؤس ضمت حميا تديرها  معتقة غيداء ساحرة الحور

بأحلى وأبهى من قريض أجاده وهذبه فكر كما الصارم الذكر

حباه لي الشهم الاديب محمد قرين العلا نجل السراة أولى الظفر

حماة الذمار الصيد لا يحتمي بهم أخو شدة الا يعز والفخر

قصيد سما الاشعار قدرا ورتبة واعيا أديبا بالبلاغة قد فخر

ولا غرو فالفكر الذي حاك برده سلالة من ان قال شعرا فقد سحر

فكيف يجاري سيد جد جده متى نام أقوام تجده على سهر

وهب جاهلا يبغي مباراته فهل ينال سوى عي يلازم والحصر؟

أدام إله العرش رفعته على اللدات وكل الشاعرين من البشر

فخذها على غيض القريحة واصفحن وسامح وأصلح بالتأمل والنظر

فأنتم معادن الفصاحة دائما وأنتم حجول للبلاغة والغرر

قال العلامة محمد المختار السوسي: رزئنا بوفاة أخينا سيدي أحمد مبطونا: 9-5-1356 ه، فقام أدباء (إلغ) بتأبينه. فكان السابق ابن عمتنا الأستاذ الاديب سيدي محمد بن علي. فألقى هذه القصيدة. عند موارات المرحوم. فاستحق قصب السبق:

متى تتعظ ان لم تعظك منية تمر بسيفها المحدد منية

فكم من فتى تسبيه بين أعزة كماة ولم تحم الكماة الاعزة

وكم كان في بسط الاماني سادرا اذا هو ما بين الاماني ميت

يدبر أمرا ثم يبرم أمره فينقض ذاك الرأي أمر موقت

فتبا لهذه الدنيا تكشفت بثوب صديق انها لعدوة

فوالله انها لآل مآله زوال، وجمع بعد ذاك مشتت

فيا عجبا للناس كيف تنافسوا على عرض يفنيه يوم وليلة

فأين الملوك الشامخون بقنة وأسيافهم لم يحم سيف وقنة

وأين الهداة الغر كانوا أئمة هداة وكل بالمحاسن ينعت

وأين ذوو العرفان من كل أمة تفانوا فأعقبوا مآثر تبهت

وأين الاصول والجدود وكلهم لعين علوم الكون نور وقرة

على نهجهم نهج السعادة والرضا مضى (أحمد) المرحوم ماواه جنة

سليل الهدى شيخ المشايخ سيدي (علي) الذي قد كان يهدى ويقنت

مضى فمضى صبري وعز تصبري تولى عن الدنيا وفي القلب حسرة

بني (الشيخ) صبرا ان صنوكم أتى حليما يغطيه رضاه ورحمة

فهذا مصاب ما أجل وقوعه ولكن تأسوا بالذين هم أسوة

فمن خلف الشهمين في خيسه الذي له فيه أشبال وزار وصولة

كخالي سيدي (محمد) خيركم و(مختاركم) من فيه سؤل وبغية

فقد كان فيهما الكفاية عن أخ شهيد اذ اجتاحته بالبطن علة

فبوركتما من ساعدين تعاونا على الخير ما ضاءت بأفق أهلة

وإني وإن عزيت جانب سادتي  بما لست أهلا إن هذا لسنة

بأولى جمادى (ونشس) قد مضى  بتاسعه لم تجد فيهم تعلة

فنسأل رب العرش أن يسدل الرضا  على خالنا الذي سبته منية

ويشفع فيه المصطفى خير من له الـ  شفاعة في الأخرى وفضل ومنة

ونحشره مع الذين رضوا به  وعنهم وبالحسنى أتتهم ختمة

وقال مهنئا العلامة محمد المختار السوسي بازدياد مولود:

تهلل وجه الدهر وابتسم الثغر ووافى المنى والسعد أقبل والبشر

ومد على وجه التراب مطارفا من الروضة الغناء نمقها الزهر

وعم السنا أفق السماء كأنما به ازدهرت في الليل أنجمه الزهر

فأبدت تباشير الجمال بأن ذا هلال سيبدو شمس أفقك يا بدر

وليد تولى الله رفعة قدره وأبرزه والسعد ساعد والخير

تكون من طين السعادة والندى وأصل زكا فالفرع حق له الفخر

أسيدنا المختار من طار صيته من الغرب حتى الشرق طاب له النشر

يهنؤ بالنجل الذي سيكون من ذوي العلم أفريدا له الفضل والصدر

ويغدو يشيد الدين مثل أصوله ويعلو علوا دونه الغفر والنسر

ويحيا يزيل الرين عن جبهة الهدى كصبح أزال عنه ظلمته الفخر

فبوركت من نجل كريم تألقت مفاخره بالوالدين وذا الفخر

أعبد الإله ما أحب لدى الورى صباحك فانعم ما أطيل لك العمر

جديد عزيز قد تجدد عندنا له فرح يبقى ويخدمه الدهر

أسيدنا (المختار) أقبل فربما أتاك الحصى، أولا، فهذا هو الصخر

الجواب:

هنيئا فمنقاد لك النظم والنثر متى تمسس القرطاس ينتثر الدر

تضلعت بالآداب حتى تكاد ان تنفست ياتي من تنفسك الشعر

فما أكثر الاشعار لكنه متى تجل بعصا موسى فقد بطل السحر

فما رشفة للصب مضنى تمزعت حشاشته مما يؤججه الهجر

من الظلم من ثغر المواصل بغتة وقد طاب من مسك اللما ذلك الثغر

بأشهى الى الاذواق مما تقول يا أديبا يدير الخمر لو تنشد الخمر

تجول بأكناف البلاغة مثل ما يجول على أكناف آفاقه الصقر

كأن الندى حين تنشد روضة مفوفة يشذى بانحائها الزهر

أيا ابن علي يا ابن خير مفوه وأزكى الغصون ما زكا قبله الجذر

ورثت اللسان العضب والقلم الذي درى كيف لقط الدر ان يغص الفكر

أتيت تهنيني بمن عده يرى كما قلت من أهل المعالي له الصدر

فلا شك أن المنتمى لبني العلا نظيرك لا يهوى سوى من له قدر

وإذ كان هذا النجل منك كما أرى هوى فليكن فالا به يثلج الصدر

فقد لاحظت عين السعادة كل من يلاحظه الشم الغطارفة الغر

فهنئتم يا آل (إلغ) معاليا كأنكم من فوقها الانجم الزهر

فعلمكم المجد المؤثل وحده فخاركم ان جد في منتدى فخر

سيدريكم حق الدراية بعد من سيأتي، وبالتاريخ يكتنه القدر

عليكم سلام مثل طرس تأرجت    أزاهيره ان جاش من فكركم شعر

وكتب إلى العلامة محمد المختار السوسي:

ابن خالنا سيدي محمد المختار. كثر الله مثله في أهل الآداب . فقد افترى من قال: (ذهب الأدب وأهله) بل الآن أتى وتفجرت ينابيعه. فالحمد لله الذي أغاثنا بك تحيي الرميم. وتجمل الدميم. وتقوي الكريم. وسيكون لزمانك -ان شاء الله- نبأ عظيم. صان الله سيفك، وأيدك بروح القدس آمين. ثم ان الاخ سيدي أبا القاسم أتانا بقصائد تستصغر القلائد. على الولائد. وما فيها الا العجاب. ولا أظن ان مثلها تتكشف عنه الالباب. لولا قدرة رب الالباب. الذي يخرج الغدق من السحاب. والتبر من التراب. وذلك فضل الله يوتيه من يشاء. والوالدة عمتك تبلغك السلام ودعت لك وللولد الجديد بالسلامة والصلاح.

1375-9-7 ه.

قال العلامة محمد المختار السوسي: ثم في عشية اليوم نفسه. توصلت أيضا منه بهذه الارجوزة. كتبها بعدما أطلع على ما كتبت به عن لسان الولد الى الاستاذ سيدي المدني أخيه. وعقب على ذلك أن مثل هذا العتاب يستحقه أيضا سيدي الطاهر أخوهما:

أصبت –لا أصبت- عبد الله من ولد لربه أواه

إذ تشتكي بعالم همام علامة نظامة امام

لكنه في مثله قد قيلا مطله ظلم لا تكن مقيلا

عهدي به يسبق في مضمار فرسان أهل النثر والاشعار

بم يكون عذره بماذا ماذا يرى لعذره لواذا

قد فر لا ينظر للوراء ليس بسامع ولا براء

مهلا أعبد الله لا تهددا بالشط عن بط وكن مسددا

أعرن سمعك تع الجوابا عن كل نظم ساحر البابا

حتى تقول: انني رضيت   وقد كفاني ما به أتيت

الآن طاب المستقر اذ حبا   لي السرور من تهاني الادبا

سأقتني الاباء في العلوم   من كل منطوق ومن مفهوم

وأورد المسائل الصعابا   ثم أجيب فترى الصوابا

مني السلام الطيب المدرار   عليكم يا أيها الاقمار

هذا ما لفقه محمد بن علي. ركيك المبنى. رقيق المعنى. لكن بالتعلق لجناب الولد المبارك المحبب سيدي عبد الله ابن سيدي محمد المختار الإلغي. حاز رفعة على زحل. وشرفا لا يناله من قطن ومن رحل. فالحمد الله الذي أفهم (تكغكغ) الولد للوالد. صانهما الله من كل شيطان مارد، فلتترنم يا ولدي بهذه القصيدة. ولتتبعها شيئا فشيئا. كما ستتبع في يد أمك بعد فطامك، اللقمة من الثريد أو من العصيدة.

7-10-1356 هـ.

ثم أجبته بقولي على لسان الولد المبارك:

حمدا لمن بوأني مهد الادب ووجه الافكار نحوي وانتدب

علمني بلا معاناة الدروس ولا تتبع السطور في الطروس

فصرت أنطق بلا حروف موهبة من خالق لطيف

الا (التلكغ) فقط فقيه كل الذي أريد أستوفيه

به أخاطب بني الاداب ونتساقى طافح الاكواب

الأن رشف الادب الإلغي ألذ من رشفي من الشدي

لا عاش من لا يستلذ الادبا ولم يكن يقدر قدر الادبا

عيشوا بني الاداب أبناء علي فانكم زينة كل محفل

بأصلكم مجد (إلغ) قبلا والفرع لا يتبع الا الاصلا

في عالم الارواح كنت أعرف ما كل واحد به يشرف

فكان تشريفكم بالادب تأتون منه بالطراز المذهب

فمنكم هنالك استرقت وذقت من آدابكم ما ذقت

فاذ أتتني دولة الاشباح قبست مما كان في الارواح

ذاك فقط بعينه ما قد حدا حتى بدا مني اليكم ما بدا

فان تكن كعكعتي للبعض فانما عمن سواه أغضى

أولا فاني عارف كل أديب ومرتج من الجميع ان يجيب

أيها الاستاذ الكريم. جعلنا الله جميعا عند ظنكم الحسن. ويسر لنا كل ما ترونه لنا مما يستحسن.

فانما نحن بعد الله بكم يا آل المعالي الشماء. فقد فاز من فاز بكم بأمواج متدفقة من الدأماء:

ومن كنتم من أهله فقد ارتقى ذرى دونها مجرى الكواكب في الافق

8-10-1356 م.

وقال العلامة محمد المختار السوسي أيضا: مع الأستاذ الكبير محمد بن علي بن عبد الله

أرسل الي أوراقا لأنتسخها فكتب معها أثناء رسالة:

فهاك سيدنا المختار ما نسجت من كل نظم بديع فكرة وهجت

هذبه أدباء عصرنا فغدت أفكارهم سبل الاصلاح قد نهجت

فاردد متى كنت قضيت المراد بما طلعته بلقا مولاي قد بهجت

مني عليك سلام الله يا أملي ما نفس حب بوصل حبها لهجت

ثم بعد ما انتسخت منه البعض وبقي البعض في دفتر. أجبته بقولي:

نفسي بذاك الذي أرسلته ابتهجت ومقلتي بمرائي روضه لهجت

وفكرتي بعد ما طالعت روضته بكل ما فيه من حسن قد امتزجت

حتى لأنشق من حولي نكهته   كأنما جؤنة العطار قد أرجت

ألله درك يا مستن في زمن   فيه العزائم عن نيل العلا عرجت

بقيت تضفي درانيكا مفوفة   متى رأتها عيون اللابس ابتهجت

وبعد فالدفتر الميمون أنسخه   وسوف ياتيك اما حلتي نسجت

عليك مني سلام ما تلألآ من   ثغر شنيب لئال منه قد فلجت

ثم كتب إلي أيضا مع أوراق أخرى. بعد ما كتبت اليه استنجزه الوعد بارسال تلك الاوراق:

تقصار العلا، ويتيمة عقد الحلى، غرة الدهر، ونور الزهر: سيدي محمد المختار. الرفيع المنار. من اليه في حل المعضل يشار. صان الله بدره عن الافول. وسيفه من الفلول. وسلام الله عليه. وليدع لنا بخير الدارين. واسمع شبه أبيات مضمنة بعض ما أشرت به. واعذر أخاك. فان كان فيها ما يصلح فاصلحه:

يا من يجد في طلاب العلا حتى امتطى ذروتها واعتلى

ومن يغوص في بحار اللغى فأبرز الدر ولكن غلا

ومن بدا غرة دهر غدا أسود فاستضا بأفق علا

سيدنا المختار من فاخرت (إلغ) به (الحمراء) بلد (سلا)

فخذ من العبيد ما أنجز الـ وقت به فاقبل بلا قول لا

يا سيدي لفحت وجهي بنا ر الزجر والنبل جرحت الكلى

فاعذر أخا الشغل ولكنه بجمع ما أمرته شغلا

عليك يا من فكره في ذكا فصاغ حليا للنهى لا الطلى

أزكى سلام طيب عاطر من حلف ود عنكم ما سلا

انتهى ما لفقه الكاتب عجلا. اذ هو لم يزل متسوقا (وقد كان في بعض المواسم) وخذ مما أرسلت اليه السمين. ودع الغث. وهذا مما يقال فيه: (حشف وسوء كيلة) وسلم على الخال سيدي (عبد الله) فعلى سلامته من السفر وبلوغ الوطن. كان الله لمن ظعن ولمن قطن. والسلام).

فأجبته بقولي: (وفيه مداعبة ومجاراة في الفخر. وسوط يلهب البلداء المنتقدين):

من يعل فيكم، فبكم قد علا لأنكم أهل الذرى والعلا

من ذا الذي يعرفكم ثم لا يجعل ادراك العلا الشغلا

ألستم كل بني صالح في نيل كل شرف مثلا

في العلم والنبل وكل الذي به يكون الرجل الرجلا

ثمت جاء من بني عمكم من أقتفوكم صفوة نبلا

فأدركوا كل المجادات عن جدارة لاقتهم قبلا

وقس بكل من لكم به يد سيادة في الملا

وان يكون ماجدا سيدا في (فاس) أو (مراكش) أو (سلا)

وان تفاخر البلاد به وأي در منكم ما غلا

هذا، فهاك الشعر وفق الذي تنسج لكن في الرواء فلا

جاريت فيه كل وصف أتى منك، ولم أبعل بمن عزلا

فانما الشعر مفاكهة نرسل فيه أينقا ذلك

نجني به كل الذي نشتهي ظلما اذا شئنا أو العسل

وتارة نجول فيه على فخر فنسحب به حلل

فليخسرن من لم يكن داريا سننه فهو وبا وبل

ولينبذن وسط الفلا، فالذي يجهل فهو من بنات الفلا

ما يصنع البليد في نقده الا كما يصنعه الجهل

من لم تكن بعد له نظرة في سيره تستوضح السبل

فكيف يا للناس يقتادنا من ليس يقتاد لغير الخلل

وكتب إلي الرسالة الآتية:

أخونا الأغر. والسيد الخال الاشهر الأبر. قطب دائرة الكمال، واكسير السيادة والاجلال.

الفقيه العالم الناسك. والورع السالك. سيدي محمد المختار ابن الشيخ قدس الله روحه.

ونور ضريحه. وسلام الله ورحمته وبركاته عليك وعلى من تشبث بأذيالك المرضية.

هذا ولا زائد لله الحمد على نعمه الضافية. وتمام العافية. ثم ان التشوق الى زيارة سيدنا يزداد.

ويؤجج بين جوانحي طول البعاد. نسأل الله الاجتماع. على أحسن الاحوال في أطيب البقاع.

ثم ان الفقيه البركة الميمون السكون والحركة. قاضي (أقا) ونواحيها قد أرسل ما طلبناه منه.

وهذا خطابه المعسول بحوله. بارك الله فيه. فقد نظم وأعجب. وقال وأسهب، فانظر مديحته

وشرحها، وتقاريظ العلماء المبرزين كالشيخ سيدي الطاهر وغيره. واجازته له. وكذلك نظم

الوالد له. وغير ذلك من نسبه في الرسالة وفي الكتاب. فاذا رآه سيدنا رده على شكر

وفضل جزيل. والوقت لم يزل آخذنا في (ايشت) وقد ورد علينا فيه القائد الحسن بن

القائد ابراهيم ابن القائد بلعيد الوراني. على قضية أرسله لأجلها المخزن. فخاطبته بأبيات أولها:

أهلا بنجل الكرام القائد الحسن من لا يقول ولا يدري سوى الحسن

وخاطبه الأخ الحسن بأبيات أولها:

يا مرحبا بسليل الجود والكرم القائد الحسن ابن القائد العلم

وهاك ما ذكر. وادع لنا بالخير. وعلى العهد والمحبة والسلام.

كتبه عن عجل في 26-7-1356 ه.

فأجبته مهنئا له بولد أسماه عليا. ولد له ويرجى أن يعيش بعد أن أيس بعد فقده عدة أولاد.

واطلب منه ما ستراه في ضمن ما سيأتي. ونصي ما كتبته اليه:

ما ل (إلغ) تأرجت نسماته    واستضاءت من وجهه قسماته

وتبدى كمبسم متلال    مستنير تألقت بسماته

أتجلى الفردوس في (إلغ) حتى    عبقت في أجوازه نفحاته

أم تجلى نجم جديد وروض    أنف آخر ذكت زهراته

أم بدا من بني علي (علي)    آخر أشرقت لنا جبهاته

جئتنا يا علي أشوق ما كن ا    الى ماجد تفوق صفاته

والى عالم جديد تشق ال    سبل في (إلغ) للعلا فعلاته

دم لنا طالعا سعيدا نحيي    ك عليا قد أسعدت طلعاته

الاستاذ ابن العمة. سيدي محمد بن علي. فعليك من التحية أفضل ما حييتني به أنت

والاديب النابغة سيدي الحسن الذي كان جديرا بمجاذبة حبال الدروس اليوم. عوضا عن

مجاذبة الحوابيل يوم جذ النخيل بين القوم.

(أما بعد) فقد سررنا جميعا بطلوع نجم الولد المبارك علي بن محمد ابن علي بن عبد الله. جعله الله

لأبيه وجده خير خليفة. وهاك شبه أبيات قلتها على أن أزيد. ولكن الحصر أبى علي ابن

خالك الا أن يلازمه. وماذا عسى أن يصنع ولو كان من الكارهين.

هذا وقد ورد علي تأليف سيادة قاضي (أقا) الاجل سيدي الهاشم البشير الاقاوي الذي يشرح

به موازنته ل (بانت سعاد) فابتهجت جدا لسلوكه فيه. فعسى أن يطبعه فيعم به النفع.

وسألتقط منه ما أريد. ثم يرجع اليه قريبا. فاشكره نيابة عني حتى ييسر الله التعارف.

وأطلب لي منه نسبه المتصل الى أقصى ما يمكن. وحتى زمن وفادة جده محمد الصديق وهل له

آثار؟ وما يعرفه عنه. وكذلك اطلب لي منه أن يبين لي ولادته هو في أي وقت كانت.

وعمن أخذ القرآن. وعن أساتذته في العلم بالتفصيل ب (فاس) و(سوس) فالحمد لله على وجود

أمثاله. وسأقتدي ان شاء الله بالمقرظين لتأليفه) وهذه الفوائد لمثلي تحفة القدوم التي بها تبتهج

النفوس لا سيما (الجهل) بكسر الجيم و (أبو الطوب)و (أبو فكوس) وان أبي لكم كرمكم الا

أن تتبعوا كل ذلك واحدا فواحدا. كأنكم أجمعين تقولون بلسان الحال: (كليهما وتمرا).

1356-7-24 ه.

ثم أجابني بقوله:

(لما هنأني الفقيه النبيه. العالم النزيه. الخضم المتلاطم بالآداب. والاريحي الثجاج بماء الصواب. الغواص على نفائس اللئالي. الجامع لأشتات المعالي. سيدنا وخالنا محمد المختار ابن الشيخ الاكبر. قدس الله روحه. وبرد ضريحه. سيدي الحاج علي بن أحمد الدرقاوي متعنا الله ببقائه. وبدوام ارتقائه. بزيادة ولد مبارك ان شاء الله بأبيات كالجمان. ساحرة للجنان. آخذة بمجامع الآذان. وهي درر صاغها اللسان. ما أخال أن مثلها مما يقدر عليه انسان. وليس الخبر كالعيان. فتكلفت شبه جواب. وان لم تكن مسابقة الظالع للظليع من الصواب. ولكن هذا في شرع الادباء واجب. وويل ثم ويل لمن هو عن هذا عندهم ناكب. فجاملت —مرغما—

الحاليات بالعطل. ولسان حالي يقول (مكره أخاك لا بطل) نحنح زيد وسعل. لما رأى وقع

الاسل. فقلت:

ما للطرس تألقت لمحاته وجرت بفصاحة صفحاته

واغتدى يزدهي بزهر المعاني تتدلى للمجتنى كلماته

عجبا هذه رياض بطرس وشحت بفنونها زهراته

انما جؤنها نوافج مسك أو ذرور تعطرت نفحاته

عجبا ان ذا لخمر بيان ينتشي القلب اذ أدارت لهاته

كيف لا وهي من قريحة ندب نظمه سلس وعذب فراته

نسجت من برود وشي شفوفا نسجها أعجزت سواها شياته

فكرة الخال صاغت الدر فاسمع (ما الإلغ تأرجت نسماته)

سندي سيدي محمد المخ تار من نظمه تلألت صفاته

قد أتاني مهنئا اذ حباني الله نجلا قد أشرقت طلعاته

ليت شعري بأي ذين سرور عم أفق الحجا وضاءت جهاته

يا أديبا ماضي الظبا ابق مصونا سيفه لا تفل عوض شباته

راقيا في مدارج العلم حتى كنت من أسندت اليه رواته

وسلام عليكم من أخي أخرته عن صالح شهواته

وكتبها حفيدكم بعد أن قدم رجلا وأخر أخرى.

1356-8-19 ه

المصادر:

محمد المختار السوسي: المعسول - مطبعة النجاح - الدار البيضاء 1961.

محمد المختار السوسي: الإلغيات (مطبوع)

ديوان الشيخ الإلغي تحقيق: عبد الوافي المختار السوسي (مطبوع)

معجم البابطين لشعراء العرب في القرنين التاسع عشر والعشرين طبع

مصادر لم أقف عليها:

كناشة محمد بن علي الالغي (مخطوط)

مترعات الكئوس في آثار طائفة من أدباء سوس (مطبوع)

المجموعة الإلغية في الآداب والآثار (مخطوط في جزأين)

جوف الفرا (مخطوط)